وحدة المسلمين عند أمير المؤمنين عليه السلام
(دراسة تحليلية)

المدرس الدكتور
محمد خضير عباس
كلية الشيخ الطوسي الجامعة ـ النجف الأشرف

وحدة المسلمين عند أمير المؤمنين عليه السلام (دراسة تحليلية)

المدرس الدكتور
محمد خضير عباس
كلية الشيخ الطوسي الجامعة ـ النجف الأشرف

المقدمة:

الوحدة: كلمة تهفو إليها قلوب المؤمنين المخلصين لربهم ودينهم. فكيف إذا كانت الوحدة تهم المسلمين؟

والوحدة من أسمى الأهداف التي دعا إليها الله سبحانه وتعالى والرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، وجميع الدعاة والمصلحين على مرِّ التاريخ.

ولا يشك أحد في عظمة هذا الهدف وأهميته العقلية والتشريعية، فما دعا إليه الإسلام من عزّة ورفعة ومنعة وقوة للمسلمين، لنْ يتحقق إلا من خلال تراحمهم وتعاطفهم وأنهم كالجسد الواحد والبنيان المرصوص.

إنَّ التجزئة والتمزّق والتشتت الذي يعيشه المسلمون منذ مدّة طويلة وحتى اليوم، هو سبب ضعفهم وتردي أحوالهم وتأخرهم في مختلف الميادين وتسلط أعدائهم عليهم.

وأصبحت مسألة العودة إلى المجتمع الإسلامي الموحّد هدفاً بعيدَ المنال أو مستحيلاً في ظل الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية.

وعلى الرغم من كل هذا لا بد أنْ نؤسس لمستقبل جديد، أو أنَّ تشييد هذا المستقبل يتحقق بتحقيق الوحدة الإسلامية.

إنَّ من وسائل التقريب؛ بلْ من أسس الوحدة الإسلامية التمسك بأهل البيت عليهم السلام، والاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم وتقريرهم؛ لأنَّ المسلمين مهما اختلفوا في شيء، لم يختلفوا في طهارتهم وتنزيههم، وبعد ذلك حجية كلامهم، لاسيما وأنَّ ذكرهم جاء في القرآن الكريم، وكذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسك بهم، لأنهم أحد الثقلين.

ولعل الإمام عليّ عليه السلام يشكل الثقل الأعظم من أهل البيت عليهم السلام، فهو عطاء متواصل في ترسيخ الوحدة الإسلامية، والنهوض بمسيرتها الحضارية.

وسبب اختياري للموضوع، هو إعادة التلاحم بين المسلمين ليكونوا أمة واحدة لها شأن كبير بين الأمم. لأنه عليه السلام كان في أقواله وخطبه ووصاياه ورسائله إلى عماله يحث أصحابه والناس على الإخاء، والألفة، والمحبة، والإتحاد وذم الفرقة، والحرص على لم شمل الأمة الإسلامية. وما أحوجنا اليوم إليها في ظل الظروف التي يمر بها بلدنا والأمة الإسلامية.

ونتيجة اهتمامه عليه السلام بالإتحاد، فقد عاش في قلوب المسلمين، وفي عواطفهم، وعقولهم وسلوكهم. فكان القدوة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في توحيد الأمة الإسلامية.

وحدة المسلمين عند أمير المؤمنين عليه السلام:ـ

- من كتاب له عليه السلام لمالك الأشتر النخعي، لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن، وقد ذكر الإمام عليه السلام المساواة في أصل الخلق وعدم التمايز والتفرقة، فقال: ((وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ للرَّعِيَّة، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ، ولَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ))[1].

العدل في نظر الإمام عليه السلام هو الأصل الذي يستطيع أنْ يحقق توازن المجتمع، ويرضي جميع أفراده ويهب لهم السلام والأمن والطمأنينة والرضا.

أما الظلم والتمييز الطبقي فهو لا يرضي حتى نفس الظالم، فكيف بالمظلومين والمحرومين. لذلك لم يهادن الإمام عليه السلام أحداً في الحق، ولم تأخذه في إقامة العدل لومة لائم.

يذكر الإمام عليه السلام في مقارنته بين العدل والظلم، أنَّ في العدل سعة، وأنَّ في الجور ضيقاً. فالمؤمن يقنع بالعدل ولا يتجاوز حدوده، فيعيش في استقرار وسعادة.

أما الفاسق الذي يتجاوز حدود العدل، فليس أمامه حدود تحده، فكلما بلغ مبلغاً من شهواته، تعطَّش إلى شهوات أخرى، فيعيش دائماً في ضيق وقلق، ولا يبلغ حد الاستقرار والسعادة[٢].

يعطي الإمام عليه السلام القوانين العامة في إدارة البلاد بما تحتاجه، ثمَّ بعد ذلك يبدأ في عهده عليه السلام بما يلزم على مالك الأشتر في نفسه من التأديب وبعد ذلك نراه عليه السلام يوصيه بالرعية ويذكر له أنَّ الرعية لا تكون من المسلمين فقط؛ بلْ حتى غير المسلم عند وجوده لابد من احترامه؛ لأنَّ الإسلام يمنع من التعرض للآخرين ولو كانوا من غير ملتهم، وعلى غير عقيدتهم من المذهب والأديان.

وسيرة الأئمة عليهم السلام السياسية والاجتماعية لم تقم على الانتقام ولا على القوة والتسلط ولو أرادوا لفعلوا وإنما نراهم يعاملون الناس بأخلاق القرآن الكريم وسيرة جدهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وهكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يعامل ويوصي لأفضل عماله وخير صحابته بحسن معاملة الرعية بين الجميع.

وينجلي لنا حرص آل البيت عليهم السلام على بقاء عزِّ الإسلام وإنْ كان ذو السلطة من ألد أعدائهم. وقد جسد هذا الموقف الإمام زين العابدين عليه السلام من ملوك بني أمية، وهو الموتور لهم، والمنتهكة في عهدهم حرمته وحرمه، والمحزون على ما صنعوا مع أبيه وأهل بيته، فإنه مع كل ذلك كان يدعو في سره لجيوش المسلمين عامة بالنصر، وللإسلام بالعز، وللمسلمين بالدعة والسلامة، في دعائه المعروف بـ (دعاء أهل الثغور). وهكذا يمضي الإمام عليه السلام في دعائه البليغ وهو من أطول أدعيته في توجيه الجيوش المسلمة إلى ما ينبغي لها من مكارم الأخلاق وأخذ العدة للأعداء، وهو يجمع إلى التعاليم الحربية للجهاد الإسلامي بيان الغاية منه وفائدته، كما ينبه المسلمين إلى التوحد والحذر من أعدائهم وما يجب أنْ يتخذوه في معاملتهم ومكافحتهم، وما يجب عليهم من الانقطاع إلى الله تعالى والانتهاء عن محارمه، والإخلاص لوجهه الكريم في جهادهم ووحدتهم. وكذلك عمل باقي الأئمة عليهم السلام في مواقفهم مع ملوك عصرهم، وإنْ لاقوا منهم أنواع الضغط والتنكيل بكل قسوة وشدة، ومع ذلك سعوا إلى تعليم الناس معالم دينهم وتوجيه أتباعهم التوجيه الديني العالي في توحيد الأمة وعدم الفرقة.

إنَّ التمييز الذي كان قبل الإسلام بين بني البشر فقد ألغي من الله تعالى كما وضح ذلك في آيات قرآنية عديدة، وكذلك ألغي من النبي صلى الله عليه وآله في أحاديث شريفة، ثمَّ من أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: (إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ). فقد كانت الرومان تعتقد - فلسفياً - أنَّ العنصر الأبيض غير العنصر الأسود جنساً ودماً وخلقة.

فالدم الذي يجري في عروق الإنسان الأبيض يختلف عن الذي يجري في عروق الأسود كما أنهما خلقا من أصلين متباينين.

وقد خلق الأسود لكي يخدم الأبيض. فوجوده لوجوده، على غرار سائر

الحيوانات والنباتات والأحجار.

فالإنسان الكريم هو الأبيض!

أما الأسود فهو مخلوق لخدمة الأبيض! فهو عبد له في أصل خلقته، وللإنسان الأبيض أنْ يستغل الإنسان الأسود أينما وجده أو عثر عليه، فهو ملك له وهو مالكه وفق القانون.

تلك كانت نظرة الأمم المتمدنة - أمثال الرومان والفرس واليونان وغيرهم - إلى الجنس الأسود إطلاقاً. لذلك كان النخاسون يغيرون على المناطق الأفريقية لصيد الإنسان الأسود زرافات، يحملونهم في السفن ويأتون بهم إلى الأسواق فيبيعونهم كما تباع الأغنام والمواشي؛ بلْ وبصورة أفجع!

وكانت الموالي تعامل العبيد معاملة سيئة، يستغلون منافعهم وموارداهم ويفرضون عليهم الأتاوات الثقيلة، ويكلفونهم ما لا يطيقون، أو يعبثون بأرواحهم غاية التفريح وترويح النفس، كأداة صامتة يعمل صاحبها بها ما شاء!

جاء الإسلام - والعالم منهمك في مهاوي الغي والفساد - جاء ليجعل حداً لتلك المظالم، ونهاية للعبث والفساد، وليوقظ العقل البشري الذي أخذه السبات العميق منذ فترة سحيقة، ولينير درب الحياة من جديد فتنتهي الأمم عن غيها وجهلها، وتهتدى إلى سبل الصلاح والسلام والعلم والعدل والإنصاف: سبيل الإنسانية الفاضلة !(٣).

سأل السيد جعفر العاملي عن الوحدة الإسلامية، هل هي وحدة سياسية أم أوسع من ذلك؟ فأجاب: إنَّ المقصود بالوحدة هو:

١- الوحدة الإنسانية: بمعنى أنْ نتعامل مع الآخرين على أساس أنهم:

((إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)).

٢- **الوحدة الثقافية:** تعني التعامل بالمشتركات، وفتح أبواب الحوار الهادئ، والمنصف في ما عداها.

٣- **الوحدة السياسية:** تعني التنسيق في المواقف والتعاون في النواحي الاقتصادية، والعسكرية، وغيرها، كمظهر من مظاهر تظافر الجهود، وحشد الإمكانات التي تمكن من الحصول على الأمن والسلامة للإسلام ولأهله، من خلال دفع العدو المشترك أو ردعه عن استهداف الناس، والعبث بدينهم، وبحياتهم.

ولا معنى لحفظ الدين والناس بالوحدة، إذا كان يراد التخلي من أجلها عن الإسلام وعن حقائقه، ومفاهيمه، وقيمه، ومسلماته، أو إضعافها، بالتجاهل أو بالتنكر لها[٤].

♦ وعنه عليه السلام في أنَّ المسلمين بأجمعهم أمّة واحدة ولا فضل لأحد منهم على أحد إلاّ بالتقوى، ويطلبون منه التفضيل لهم في قسمة الأموال والعطايا بين المسلمين، فقال عليه السلام: ((مَنِ اسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، وآمَنَ بِنَبِيِّنَا وشَهِدَ شَهَادَتَنَا، ودَخَلَ فِي دِينِنَا أَجْرَيْنَا عَلَيْه حُكْمَ الْقُرْآنِ، وحُدُودَ الإِسلام لَيْسَ لأَحَد عَلَى أَحَد فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَلَا وإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ اللَّه تَعَالَى أَفْضَلَ الثَّوَابِ وأَحْسَنَ الْجَزَاءِ والْمَآبِ))[٥].

أشار الإمام عليه السلام من باب الاستئناف بقوله: (مَنِ اسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا...) إلى أنه عليه السلام يجري عليهم أحكام القرآن الكريم وحدود الإيمان وقوانينه رضوا أم كرهوا ولا يخاف لومة لائم، ثمَّ أشار إلى دفع ما توهموا من فضلهم على غيرهم بقوله: (لَيْسَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى) فالتقي وإنْ كان عبداً

حبشياً أفضل من غيره وإنْ كان رجلاً قرشياً، ثمَّ حث على التقوى ورفض الرسوم الجاهلية من دعوى الفضل بالجاه والمال والنسب ونحوها من الأمور الاعتبارية المحضة التي لا حقيقة لها.

إنَّ العناصر التي تحقق مفهوم الأمّة الواحدة خارجاً هي الأرض، والجنسية، واللغة، واللون، والمصلحة المشتركة والفكر والعقيدة، ولا شك أنّ لكلّ من هذه تأثيراً في تحقيق الوحدة بين الأفراد وفي نشوء الإنسان وتربيته، فإنَّ الإنسان ليس منعزلاً في حياته عن الشؤون المادية وخواصّها وآثارها. ولكنه من الواضح لكلّ أحد أنّ إنسانيّة الإنسان وكرامته ليس ببدنه ومزاجه وقواه المادية؛ بلْ بعقله وفكره وآرائه، والذي يحكم على قلبه وروحه هو فكره وإيمانه الذي يعده أعزّ الأشياء لديه بحيث يضحّي بنفسه في طريقه. فلو فرضنا مواطنين ولدا على أرض واحدة واشتركا في جميع العناصر المادية ولكنهما اختلفا في العقيدة والفكر، نراهما كل يوم يتناحران ويتشاجران ولا يوجد بينهما العلاقة والمحبة. وبالعكس؛ لو فرضنا إنسانين اختلفا في الوطن والعناصر المادية ولكنهما اتفقا في العلاقات الروحية والأفكار والآراء، نراهما متحابين متجاذبين كأنّهما روح واحد في جسدين.

ولا يمتاز الإنسان عن سائر أنواع الحيوان إلاّ بروحه وفكره وعقائده.

فالوحدة في الفكر والإيمان هي القادرة على جمع أفراد الإنسان وإيجاد العلاقة بينهم، لا وحدة الوطن والعنصر؛ ولأجل ذلك ترى الإسلام يحكم بوحدة الأمّة الإسلامية وأخوة المؤمنين بما هم مؤمنون، ولا يرى للامتيازات المادية من الجنس واللغة واللون شأناً بحيث توجب فضيلة للإنسان في قبال الفضائل الروحية وفضيلة الإيمان والتقوى[٦].

♦ ومن قول له عليه السلام يبين فيها آثار الاختلاف والفرقة في يوم صفين، فقد روى ابن أبي الحديد (ت ٦٠٦هـ) في شرح نهج البلاغة، نقلاً عن

"كتاب صفّين" لـ " نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ) ". بعد أنْ حمد الإمام عليه السلام الله تعالى وأثنى عليه، فقال عليه السلام: ((... ألا إنَّ المسلم أخو المسلم فلا تنابذُوا ولا تجادلوا، ألا إنَّ شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لَحِق، ومن فارقها مُحِق، ومن تركها مَرَق، ليس المسلم بالخائن إذا ائتمِن، ولا بالمخلِف إذا وعد، ولا بالكذاب إذا نطق. نحن أهل بيت الرحمة))[٧].

الأخوة الخالصة نعمة مضاعفة، لا نعمة التجانس الروحي فحسب؛ بلْ نعمة التعاون المادي كذلك. وقد كرر الله عزَّ وجَّل ذكر هذه النعمة مرة ومرة: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[٨].

فأخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين، لا تناصر العصبيات العمياء؛ بلْ تناصر المؤمنين المصلحين لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وردع المعتدي وإجارة المظلوم، فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده في معترك؛ بلْ لا بد من الوقوف بجانبه على أي حال: لإرشاده إنْ ضل، وحجزه إنْ تطاول، والدفاع عنه إنْ هوجم والقتال معه إذا استبيح... وذلك معنى التناصر الذي فرضه الإسلام.

إنَّ خذلان المسلم شيء عظيم، وهو - إنْ حدث - ذريعة خذلان المسلمين جميعاً؛ إذ سيقضي على إخلال الإباء والشهامة بينهم، وسيرضخ المظلوم طوعاً أو كرهاً لما وقع به من ضيم... ثمَّ ينزوي بعيداً وتتقطع عرى الأخوة بينه وبين من خذلوه.

وقد هان المسلمون أفراداً، وهانوا أمماً يوم هوت أواصر الأخوة بينهم ونظر أحدهم إلى الآخر نظرة استغراب وتنكر، وأصبح الأخ ينتقص أمام أخيه

فيهز كتفيه ويمضي لشأنه كأنَّ الأمر لا يعنيه !

إنَّ هذا التخاذل جرَّ على المسلمين الذل والعار، وقد حاربه الإسلام حرباً شعواء، ولعن من يقبعون في ظلاله الداكنة الزرية.

وهناك رذائل حاربها الإسلام؛ لأنها تناقض آداب الأخوة وشرائطها.

إنَّ القاعدة التي تسوى بها الصفوف تسوية ترد المتقدم إلى مكانه، وتقدم المتأخر عن أقرانه هي الأخوة بين المسلمين، فإذا نشب نزاع أو حدث هرج ومرج طبقت قوانين الإخاء على الكافة ونفذ حكمها. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٩].

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الرذائل في حديثه الجليل، وهي رذائل تبدو للنظر القاصر تافهة الخطر، غير أنها لمن تدبر عواقبها تصدع القلوب، وتجفف عواطف الود منها: قال صلى الله عليه وآله: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ...))[١٠].

والمسلم الذي يشهد الشهادتين مصون المال محقون الدم، محرم العرض، قال صلى الله عليه وآله: ((المسلم أخو المسلم، لا يحل دمه، وماله إلا بطيبة من نفسه)) [١١].

وفي المجتمع المتحاب بروح الله تعالى الملتقي على شعائر الإسلام، يقوم إخاء العقيدة مقام إخاء النسب، وربما ربت رابطة الإيمان على رابطة الدم.

والحق أنَّ أواصر الأخوة في الله تعالى هي التي حمت الإسلام أول أمره، وأقامت دولته، ورفعت رايته، وعليها اعتمد رسول الله صلى الله عليه وآله في تأسيس أمة صابرت هجمات الوثنية الحاقدة وسائر الخصوم المتربصين، ثمَّ خرجت بعد صراع طويل وهي رفيعة العماد وطيدة الأركان، على حين ذاب أعداؤها وهلكوا.

لقد كانت المدينة التي احتضنت الإسلام ومجدت كلمته، تقيم العلاقات بين القاطنين والوافدين على التبادل في ذات الله تعالى، والإيثار عن سماحة رائعة، والمساواة بين الأنساب والأجناس، وتبادل الاحترام والحب، وإشاعة الفضل وتقديس الحق، وإسداء المعروف عن رغبة فيه لا تكليف به.

وهذه علائم الإخاء الصحيحة، إخاء العقيدة الخالصة لوجه الله تعالى، لا إخاء المنافع الزائلة، ولا إخاء غايات الدنيا. لقد كانت تعاليم الإسلام ترعى هذا الإخاء حتى لا يعدو عليه ما يكدره، فلا يجوز لمسلم أنْ يسبب لأخيه قلقاً أو يثير في نفسه فزعاً. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من أشار إلى أخيه بحديدة فإنَّ الملائكة تلعنه حتى ينتهي، وإنْ كان أخاه لأبيه وأمه)) (١٢).

وبهذه الوصايا كانت الأخوة تأميناً شاملاً، بث في أكناف المجتمع السلام والطمأنينة.

ومما اتخذه الإسلام لصيانة الأخوة العامة، ومحو الفروق المصطنعة وتوكيد التكافؤ في الدم والتساوي في الحق، إشعار العامة والخاصة بأنَّ التفاخر بالأنساب باطل، فمن لا امتياز له بعمل جليل لم ينفعه أسلافه ولو كانوا ملوك الآخرة.

والغريب أنَّ عادة العرب في الإعلاء بالنسب والازدهار بالأبوة غلبت في مجتمعهم تعاليم الإسلام، فكان ذلك من أسباب الفتوق الخطيرة في ماضينا وحاضرنا ومن وسائل الإسلام كذلك في المحافظة على الإخاء بين بنيه - مهما اختلفت أوطانهم وعشائرهم - إماتته للنزعات العنصرية والعصبيات الجنسية.

إنه من الطبيعي أنْ يحب المرء وطنه وقومه، ولكن لا يجوز أبداً أنْ يكون ذلك سبباً في نسيان المرء لربه وخلقه ومثله.

إنَّ الإخوة في الإسلام تعني الإخلاص له، والسير على سبيله، والعمل بأحكامه، وتغليب روحه على الصلات الخاصة والعامة، واستفتاءه فيما تعرض من مشكلاته، وغض الطرف عما عدا ذلك من صيحات ودعوات[١٣].

- ومن كلامه ووصاياه عليه السلام في أربعمائة باب في أمور الدنيا والدين، وجاء فيها في الوحدة وترك الخلاف، قال عليه السلام: ((المسلم مرآة أخيه، فإذا رأيتم من أخيكم هفوة فلا تكونوا عليه إلباً، وأرشدوه، وانصحوا له وترفقوا به، وإياكم والخلاف، فإنه مروق، وعليكم بالقصد - بالاستقامة - تراءفوا وتراحموا)) [١٤].

إنَّ المجتمع الإسلامي لو سارّ على هذه النصائح لكان المسلمون يداً واحدة وانسد الطريق أمام أعدائهم وخصومهم، وما وجد في مجتمعهم فقير أو محروم؛ لأنَّ التعاون والتواصل من أوثق الأسباب التي توجد التكافل الاجتماعي بين المسلمين.

رفعت فرنسا في ثورتها الكبرى شعارات الإخاء بين جميع أفراد البشر بلا تفرقة بين الأبيض والأسود منهم، وجعلت ذلك من جملة حقوق الإنسان التي أعلنتها وأقرتها هيئة الأمم المتحدة، ولكن ذلك لم يكن معمولاً به منذ وقت إعلانه؛ لأنه يحتاج إلى الطاقات الروحية وليس لها أثر في قلوب الفرنسيين؛ بلْ وفي عامة الغربيين فإنه في نفس الوقت الذي أعلنت فيه فرنسا الأخوة الإنسانية، قد اندلعت فيها المشاحنات والخصومات وفاضت أرضها في برك من الدماء.

وكان شعار الإخاء عذاباً وسجوناً ومظالماً في الجزائر وفي إفريقيا والهند الصينية وتحولت شعارات الإخاء الفرنسي إلى أكذوبة كبرى تثير السخرية والاشمئزاز عند جميع الناس.

إنَّ الإسلام رفع شعار الأخوة الكبرى قبل أنْ تعلنها فرنسا بقرون وأجيال وبناها على أسس رفيعة وأحاطها بسياج واق، فلم تكن الأخوة الإسلامية شعاراً زائفاً، وإنما هي حقيقة واقعة وتجربة تاريخية، وأصل بارز من أصول الإسلام.

إنَّ الأخوة الإسلامية لم تقم على أساس قبلي أو جنسي أو إقليمي ولم تبتن على أسس سطحية وإنما أقيمت وبنيت على أنها جزء من أجزاء العقيدة يسأل عنها المسلم ويحاسب عليها، وبذلك أصبحت الأخوة الإسلامية تشتمل على طاقات هائلة من القوة تمد المجتمع الإسلامي بالوحدة والتفاهم والإيثار والتعاون وتخلق له أنموذجاً فريداً من التكافل الاجتماعي كما تسد الطريق أمام أعدائه من أفاعي الجشع والاستعمار(١٥).

لقد أوجب الله تعالى صيانة هذه الأخوة بالإصلاح فيما إذا شجر بينهم خلاف أو عصفت فيهم ريح التفرقة.

وبلغت الأخوة الإسلامية القمة في روعتها وعظمتها، ويظهر ذلك جلياً حينما نقرأ أقوال النبي صلى الله عليه وآله، ويصف المجتمع الإسلامي في تقارب عواطفه ووحدة مشاعره بأنه كالجسم الواحد.

وكذلك أقوال الإمام عليه السلام في حثه على الوحدة، وعدم التفرق. لقد أراد الإسلام أنْ يجعل الأخوة الإسلامية كالأخوة النسبية في قوتها ومكانتها.

إنَّ الأخوة الإسلامية ليست مجرد عاطفة ظاهرة وإنما هي علاقة وثيقة تمتد إلى أعماق القلوب ودخائل النفوس فتحتم على المسلمين أنْ يشتركوا في البأساء والضراء.

وقد بنى الإسلام الأخوة الدينية على أسس عميقة فقد أمر بالأسباب التي تؤدي إلى المحبة والتآلف، ونهى عن عوامل العدوان والتباغض، وبين الحقوق

العامة التي تترتب على هذه الأخوة. وهذا ما أكد عليه أمير المؤمنين عليه السلام في أقواله.

♦ وعنه عليه السلام في التحذير من الفتن والتمسك بالجماعة، قال عليه السلام: ((فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وأَعْلَامَ الْبِدَعِ، والْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْه حَبْلُ الْجَمَاعَة، وبُنِيَتْ عَلَيْه أَرْكَانُ الطَّاعَة، واقْدَمُوا عَلَى اللَّه مَظْلُومِينَ ولَا تَقْدَمُوا عَلَيْه ظَالِمِينَ))[١٦].

هتف الإمام عليه السلام بأصحابه يدعوهم إلى وحدة الكلمة.

فقوله عليه السلام: (والْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْه حَبْلُ الْجَمَاعَة): أي القوانين التي ينتظم بها اجتماع الناس على الحق، وهي التي بنيت عليها أركان الطاعة.

قوله عليه السلام: (واقْدَمُوا عَلَى اللَّه مَظْلُومِينَ): أي كونوا راضين بالمظلومية أو لا تظلموا الناس وإنْ استلزم ترك الظلم مظلوميتكم.

و(مدارج الشيطان): مذاهبه ومسالكه.

(ومهابط العدوان): المواضع التي يهبط هو وصاحبه فيها[١٧].

كان الإمام عليه السلام أول دعاة الوحدة بعد القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وآله في توحيد المسلمين والأمة، فحتى يوم صفين لم يكن يشغل باله ويقلق خاطره إلا تفرق الأمة وضياع الدين، ففي خطابه لأصحابه يوم ذاك قال عليه السلام: ((ألا وإِنَّه لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ، حَافَظْتُمْ عَلَيْه مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ))[١٨].

ومما أفضى به الإمام عليه السلام إلى عشيرته في التوحد وعدم الفرقة، قوله: ((أَمَّا وَصِيَّتِي فَأَنْ لَا تُشْرِكُوا باللَّه جَلَّ ثَنَاؤُه شَيْئاً ومُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَه أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ))[١٩].

إنَّ الوحدة بين جميع المسلمين في ظل دين التوحيد كانت في أشد الفتن اضطراماً وفي أشد الظروف سواداً وقتاماً بين أفراد الأمة كلها في زمن معاوية وما سببه من خلافات وتفرق الأمة.

إنَّ الإسلام فوق الفرق والشيع والمذاهب، وأنَّ معالم العقيدة الدينية مبرأة من التفرق، وأنَّ طبيعتها تقتضي إيجاد الحلول العملية الإيجابية التي تحرك الوجدان، وتستجيش الضمير، وتدفع بالطاقات البشرية إلى التوحد، على هدي من الفكر النير والمنطق السليم التي توحد الصف، وتلم الشعث، وترأب الصدع، حتى نعتصم جميعاً بحبل الله تعالى غير متفرقين والسير على نهج أمير المؤمنين عليه السلام.

- سأل عليه السلام عن السنة والبدعة، والجماعة والفرقة، فقد جاء في كنز العمال عن سليم بن قيس العامري، قال: سأل ابن الكوّا علياً عليه السلام عن السّنة و البدعة، وعن الجماعة والفرقة. فقال عليه السلام: ((يا ابن الكوّا، حفظت المسألة فافهم الجواب: السنّة واللّه سنّة محمد صلى الله عليه وآله، والبدعة ما فارقها. والجماعة واللّه مجامعة أهل الحقّ وإنْ قلّوا، والفرقة مجامعة أهل الباطل وإنْ كثروا))[٢٠].

روى ابن ميثم البحراني (ت٦٧٩هـ) في شرح نهج البلاغة أنَّ رجلاً سأل أمير المؤمنين عليه السلام فَقَالَ: يا أميرَ المؤمنين ! أَخْبرني من أهلُ الجَماعَة؟ وَمَنْ أَهْلُ الفرْقَة؟ وَمَنْ أَهْلُ السُّنَّة؟ وَمَن أَهْلُ البدعَة؟ فَقَالَ عليه السلام: ((وَيحَكَ! إذَا سَأَلْتَني فَافْهَم عَنِّي، ولا عَلَيْكَ أَنْ - لا - تَسْأَلَ أَحَداً بَعْدي. أمَّا أهلُ الجَماعَة: فَأَنا وَمَنْ اتَّبعَني وَإنْ قَلّوا، وَذَلكَ الحَقُّ عَنْ أَمْرِ اللّه وَأَمرِ رَسُوله صلى الله عليه وآله، وَأَمَّا أَهْلُ الفرْقَة: فَالمُخالفُونَ لي وَلِمَن اتَّبَعَني وإنْ كَثُرُوا، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّة: فَالمتَمَسِّكُونَ بِمَا سَنَّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وآله وإنْ قلّوا. وأمّا أهل البدعة: فالمخالفون لأمر اللّه، ولكتابه، ورسوله صلى الله عليه وآله، العاملون برأيهم وأهوائهم، وإنْ كثروا!))[٢١].

إنَّ الإمام عليه السلام كان همه الإسلام ووحدة المسلمين، رغم أنه كان يؤمن بحقّه في كثير من الأمور بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، لكنه انشغل بمسؤوليته الكبرى في صيانة المسيرة الإسلامية، وقال: ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلاّ علي))[٢٢] بكل ما فيها من مصالح سياسية واقتصادية واجتماعية وهي الأهم بالنسبة له. وبهذه الروح تعامل مع كل ما واجهه من مواقف معقدة في حياته. وهذه الروح هي التي خلدته، وهي التي صيّرت منه إماماً للمسلمين على مرّ العصور، وهي التي صانت المجتمع الإسلامي الوليد من الانهيار، وحفظت وحدته وتماسكه. ولولا هذه القيم لأصبح الإسلام ساحة صراع مصلحي بين الأقوياء لا شأنَّ فيه للشعوب ومصالح الشعوب وكرامة الأمة.

لولا هذه القيم التي جسّدها الإمام عليه السلام في أيام حكمه وثورة ابنه الإمام الحسين عليه السلام لما ظهرت في التاريخ الإسلامي أصوات باسم الإسلام تطالب بالعدل وترفض الجور.

- ومن كلام له عليه السلام لما اختلفت آراء أصحابه في ترشيح من يتصدى لدفع فتنة ابن الحضرمي في البصرة، وفيها الحرص على جماعة الأمة، قال عليه السلام: ((تناهوا أيّها النّاس وليردعكم الإسلام ووقاره عن التباغي والتّهاوي، ولتجتمع كلمتكم، وألزموا دين اللّه الذي لا يقبل من أحد غيره، وكلمة الإخلاص التي هي قوام الدّين، وحجّة اللّه على الكافرين، واذكروا إذ كنتم قليلاً مشركين متباغضين متفرّقين، فألف بينكم بالإسلام، فكثّرتم واجتمعتم وتحابتم، فلا تتفرّقوا بعد إذ اجتمعتم، ولا تباغضوا بعد إذ تحابتم، وإذا رأيتم النّاس وبينهم النّايرة وقد تداعوا إلى العشائر والقبائل فاقصدوا لهامهم ووجوههم بسيوفكم حتى يفرغوا إلى اللّه، وكتابه وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله، فأمّا تلك الحمية

فإنها من خطوات الشيطان فانتهوا عنها، لا أبا لكم تفلحوا وتنجحوا!))[٢٣].

بعد أنْ تمت له البيعة عليه السلام قال: ((إنما أنا رجل منكم... لي ما لكم... وعَليّ ما عليكم)). لا شك أنه عليه السلام حين قال قولته هذه فلا تفرقة بينه وبين الناس، ولا امتياز لأحد على آخر، فكلمته هي كلمة الإسلام، ورأيه هو رأي الإسلام، ودين الله تعالى الذي ختم الأديان كان كما يقضي بوحدة الربوبية الإلهية، ويقضي أيضاً بوحدة العبودية البشرية؛ لأنَّ الإسلام دين الفطرة التي فطر الله تعالى عليها الناس أجمعين، قبل أنْ تفسدهم الانحرافات المتسربة إلى النفوس والعقول من خلال طوارئ المعتقدات، والأفكار، وتحكم العادات والتقاليد، وفوارق العنصرية والأجناس، وتباعد حدود الزمان والمكان. إنه يعيدهم سيرتهم الأولى، على سجيتهم النقية كبدء نشأتهم.

وبهذا هو يسوي بينهم كافة؛ لأنَّ الفطرة هي العامل الوحيد الذي يشتركون فيه فأساس المقارنة بينهم ثابت غير قابل للتغير، أو مساواة كاملة، لا سبيل معها إلى المفاضلة والترجيح.

فالقرآن الكريم كما تؤكد آياته، حين يدعو دعوته الإيمانية لا يخاطب إلا "الناس" أو "بني آدم" أو "الإنسان" أو "عباد الله". لا يختص بها جنساً، ولا عنصراً، ولا قوماً، ولا لوناً، ولا طائفةً، ولا مجتمعاً من المجتمعات بالخطاب[٢٤].

إنّ الإمام عليه السلام حثّ على الوحدة وعدم الفرقة بين المجتمعات، وقد قالها قبله نبي الرحمة صلى الله عليه وآله حين قال: ((أيّها الناس، إنَّ ربّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد. كلّكم لآدم، وآدم من تراب. إنَّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلاّ بالتقوى. ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: فليبلغ الشاهد الغائب))[٢٥].

إنَّ الوحدة هي انضواء المسلمين تحت لواء الإسلام، وبتلك الوحدة يصبح المسلمون قوة تهاب، وحصناً منيعاً؛ فلا يرضى أحدهم بخذلان أخيه، ولا تقرّ عينه بما يؤذيه؛ بلْ لا يرضى له إلا ما يرضاه لنفسه، وذلك هو المقصود من تشبيه العلاقة بين المسلمين بعلاقة أعضاء الجسد الواحد بعضها من بعض، فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)) (٢٦).

- قال أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً الخوارج في التوحد وعدم الفرقة: ((والْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّه مَعَ الْجَمَاعَةِ، وإِيَّاكُمْ والْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ، أَلا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوه ولَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِه))(٢٧).

قوله عليه السلام: (والْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ): فقد كان السّواد الأعظم ذلك اليوم مع الإمام عليه السلام، وإنما كان مع الخوارج قلّة من النّاس، وليس المراد السّواد الأعظم مطلقاً، وإلا فأهل الباطل كالوثنيين والمسيحيين أكثر من المسلمين.

(فَإِنَّ يَدَ اللَّه مَعَ الْجَمَاعَةِ): أي قوّة اللّه سبحانه - إذ اليد بمعنى القوّة -.

(وإِيَّاكُمْ والْفُرْقَةَ): أي التّفرقة.

(فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ)؛ إذ من يترك النّاس ويستبد بآرائه يسرع إليه الباطل، لأنه لا يستفيد الآراء الصّحيحة من المجتمع.

(كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ) حيث يخطفها؛ إذ لا يرى الرّاعي عليها (إلَّا من دعا إلى هذا الشّعار)، الشّعار علامة يتواضع جماعة من النّاس عليه

ليعرفوا به جماعتهم عمّن سواهم، وسمّى شعاراً كأنه اللباس الملاصق إلى جلدهم - إذ البطانة تسمّى الشّعار، في مقابل الظهارة المسمّاة بالدّثار- ومراده عليه السلام بهذا الشّعار شعار المفارقة للجماعة الَّتي هم على حق.

(فَاقْتُلُوه ولَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِه): هذا لبيان عدم غرور الإنسان بزهد صاحب الشّعار وصلاحه، وإنما الميزان كونه مع الجماعة، أو مخالفاً لهم، فإنَّ من يخالف الجماعة؛ إذ لم يقتل كان مادّة فساد وإخلال بالأمن والاجتماع[٢٨].

لقد أمر الإمام عليه السلام بلزوم طريقة السواد الأعظم أي: أكثر المسلمين المتّفقين على رأي واحد، ورغَّب في لزوم طريقتهم بأنَّ يد الله تعالى على الجماعة، فتجوّز بلفظ اليد في قدرة الله تعالى وحراسته للجماعة؛ إذ كانوا أمنع وأبعد من الانفعال للعدوّ، وآمن من الغلط لكثرة آرائهم واتّفاقها، فلا تكاد تتّفق على أمر لا مصلحة فيه مع كثرتها واختلافها، وحذّر من الفرقة والشذوذ عن الجماعة بأنَّ الشاذّ من الناس. أي: المنفرد المستّبد برأيه للشيطان، أي: محلّ تطرّق الشيطان لانفراده، وشبّه ذلك بالشاذّ من الغنم، ووجه الشبه كون انفراده محلاً لتطرّق الهلاك إليه باستغواء الشيطان له، كما أنَّ الشاة المنفردة في مظنّة الهلاك لانفرادها ووحدتها للذئب.

ومما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذم التفرقة، قال: ((الخلاف يهدم الآراء))[٢٩]. و((الأمور المنتظمة يفسدها الخلاف))[٣٠]. و((سبب الفرقة الاختلاف))[٣١]. و((كثرة الخلاف شقاق))[٣٢]. و((من نكد الدنيا تنغيص الاجتماع بالفرقة، والسرور بالغصة))[٣٣].

وروى البرقي (ت ٢٧٤هـ) بإسناده عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((ثلاث موبقات: نكث الصفقة، وترك

السنّة، وفراق الجماعة))[٣٤].

إنَّ وحدة الأمة الإسلامية فرض وواجب، والمسلمون بحاجة إلى التقارب والتفاهم، وهم اليوم بحاجة أكثر إلى ذلك مع هذا الوضع المؤلم، فالأعداء تكالبوا علينا، واستغلوا فينا وصمة التشتت والافتراق، فأصابونا في ديننا وفي علاقاتنا، وألهونا بمسائل هامشية على حساب جوهر الدين والإسلام.

إنَّ الناس إنْ لم يجمعهم الحق شعّبهم الباطل، وإنْ لم توحّدهم عبادة الرحمن مزّقتهم عبادة الشيطان، وإنْ لم يستهويهم نعيم الآخرة تخاصموا على متاع الدنيا. ولو دققنا في الشرائع الإسلامية وآدابها فهي تعد الفرد جزءاً لا ينفصم من كيان الأمة، وعضواً موصولاً بجسمها لا ينفك عنها، فهو طوعاً أو كرهاً يأخذ نصيبه مما يتوزّع على الجسم كله من غذاء ونحو ذلك، وقد جاء الخطاب الإلهي والأحاديث الشريفة لأهل البيت عليهم السلام مقرارت لهذا الوضع، فلم يتجه للفرد وحده بالأمر والنهي، إنما تناول الجماعة كلها في توحد الأمة. ولهذا فلنتوحد؛ لأنَّ كتابنا واحد، ونبينا واحد، وسنتنا واحدة سنة أهل البيت عليهم السلام.

- قال أمير المؤمنين عليه السلام في تحذير الأُمّة من الفرقة ويبين آثار الاختلاف، ويحذر من العقوبات النازلة بمن قبلهم من الأمم والنظر في عاقبة أمرهم، وغير ذلك من الأمور الواعظة، قال عليه السلام: ((احْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ، مِنَ الْمَثُلَاتِ بِسُوءِ الأَفْعَالِ وذَمِيمِ الأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ والشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، واحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ... مِنَ الاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ واللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ... واجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ، مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ وتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وتَدَابُرِ النُّفُوسِ وتَخَاذُلِ الأَيْدِي وتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

قَبْلَكُمْ... فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً، والأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً والْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، والأَيْدِي مُتَرَادِفَةً والسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، والْبَصَائِرُ نَافِذَةً والْعَزَائِمُ وَاحِدَةً، أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الأَرَضِينَ، ومُلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ، فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وتَشَتَّتَتِ الأُلْفَةُ، واخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ والأَفْئِدَةُ وتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ وتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، وقَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ، عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ. فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وبَنِي إِسْحَاقَ وبَنِي إِسْرَائِيلَ عليهم السلام، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الأَحْوَالِ وأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الأَمْثَالِ، تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ والْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ وبَحْرِ الْعِرَاقِ، وخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ، ومَهَافِي الرِّيحِ ونَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ ووَبَرٍ، أَذَلَّ الأُمَمِ داراً وأَجْدَبَهُمْ قَراراً، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، ولا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ والأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلَاءِ أَزْلٍ وأَطْبَاقِ جَهْلٍ، مِنْ بَنَاتِ مَوْءُودَةٍ وأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ وغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ...))[٣٥].

هذه أطول خطبة تحث على الوحدة وعدم التفرق، فقد حث الإمام عليه السلام المسلمين باعتبار حالهم في ألفتهم واجتماعهم، وإشارة إلى أنّ المستلزم لتلك الخيرات كلّها إنّما كان هو الألفة والاجتماع وباعتبار ما صاروا إليه في آخر أمورهم حين وقعت الفرقة بينهم، وتشتّت ألفتهم واختلفت كلمتهم وأفئدتهم، فخلع اللّه عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته، وبقى قصص أخبارهم عبرة للمعتبرين، وهو إشارة إلى أنّ المستلزم لتلك الشرور هو

ما حصلوا عليه من تفرّق الكلمة...

(والْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً): استقامتها على الحقّ.

وقوله عليه السلام: (والسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً). قال بعضهم: أراد أهل السيوف فحذف المضاف، ويحتمل أنْ يكون قد استعار وصف التناصر لها باعتبار كونها أسباباً يقوّى بعضها بعضاً فصارت كالجماعة الَّتي ينصر بعضها بعضاً. ونفوذ البصاير خرقها حجب الشبهات عن الحقّ واصلة إليه. واتّحاد العزائم اتّفاق الإرادات الجازمة على طلب الحقّ.

وقوله عليه السلام: (فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وبَنِي إِسْحَاقَ وبَنِي إِسْرَائِيلَ عليهم السلام).

ولد إسماعيل عليه السلام إشارة إلى العرب من آل قحطان وآل معد، ومن بنى إسحاق أولاد روم بن عيص بن إسحاق وبنو إسرائيل وهو يعقوب ابن إسحاق عليه السلام. فأمّا حال تشتّتهم وتفرّقهم واستيلاء الأكاسرة والقياصرة عليهم وفعلهم بهم ما ذكر فتفرّق كلمة العرب قبل ظهور محمّد صلى الله عليه وآله أمر ظاهر معلوم لكلّ من طالع كتب السير، وبسبب ذلك كانت الأكاسرة أرباباً لهم يحتازونهم ويبعّدونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا إلى البادية، وأمّا حال بني إسحاق وإسرائيل في ذلك فنحو ما جرى لأولاد روم بن عيص من اختلاف النسطوريّة واليعقوبيّة والملكاتيّه حتّى كان ذلك سبباً لضعفهم واستيلاء القياصرة عليهم في الروم وعلى بني إسرائيل في الشام وإزعاج بخت نصر لهم عن بيت المقدس حتّى غزاهم المرّة الثانية كما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾[٣٦]. وقد كان غزاهم مرّة أولى حين أحدثوا وغيّروا فرغبوا إلى اللّه تعالى وتابوا فردّه عنهم وهي المرّة الأولى الَّتي حكى اللّه تعالى بقوله: ﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما﴾[٣٧]،

ثمّ أحدثوا بعد ذلك فبعث اللّه إليهم أرميا فقام فيهم بوحي اللّه فضربوه وقيّدوه وسجنوه فغضب اللّه عليهم فبعث إليهم عند ذلك بخت نصر فقتل منهم وصلب وأحرق وجدع وباع ذراريهم ونسائهم وسارت منهم طائفة إلى مصر ولجئوا إلى ملكها فسار إليه بخت نصر فأسره وأسر بني إسرائيل. والّذين فرّوا منهم ارتحلوا إلى حدود المدينة كيهود خيبر وبني قريظة والنضير ووادي قرى وقينقاع. وإنّه عليه السلام أمر باعتبار حالهم وتأمّل أمرهم في حال تشتّتهم وتفرّقهم قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وفعل أعدائهم ما كانوا يفعلون كيف فرجّ اللّه تعالى عنهم من تلك الشدائد بظهور محمّد صلى الله عليه وآله لهم نبيّاً. وأنّ غايته عليه السلام عن أمره باعتبار حال المؤمنين من الأمم الماضية قبلهم اقتدائهم في الصبر على المكاره ولزوم الألفة والاجتماع مع ذلك وانتظار الفرج به[٣٨].

- ومن خطبة له عليه السلام يحذر عن التلوّن في الديّن الملازم للنفاق ويحث أصحابه على الإخاء والألفة والإتحاد وذم الفرقة وكذلك الحرص على جماعة الأمة. وهذه الخطبة من أوائل الخطب التي خطب بها أيام بويع بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، فقال عليه السلام: ((فَإِيَّاكُمْ والتَّلَوُّنَ فِي دينِ اللَّه، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وإِنَّ اللَّه سُبْحَانَه لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى، ولَا مِمَّنْ بَقِيَ، لزوم الطاعة يَا أَيُّهَا النَّاسُ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَه عَيْبُه عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَه وأَكَلَ قُوتَه، واشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّه وبَكَى عَلَى خَطِيئَتِه، فَكَانَ مِنْ نَفْسِه فِي شُغُلٍ والنَّاسُ مِنْه فِي رَاحَةٍ))[٣٩].

عرف عن أمير المؤمنين عليه السلام بحرصه على بقاء مظاهر الإسلام، والدعوة إلى عزته، ووحدة كلمته، وحفظ التآخي، ورفع الضغينة من القلوب، والأحقاد من النفوس. ولا ننسى موقفه عليه السلام مع الذين سبقوه، فجاراهم

وسالمهم؛ بلْ حبس رأيه في أنه المنصوص عليه بالخلافة، حتى أنه لم يجهر في حشد عام بالنص إلا بعد أنْ آل الأمر إليه فاستشهد بمن بقي من الصحابة عن نص الغدير في يوم (الرحبة) [٤٠] المعروف.

وكان عليه السلام لا يتأخر عن الإشارة عليهم فيما يعود على المسلمين أو للإسلام بالنفع والمصلحة، وكان يقول عن ذلك العهد: ((فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلَامَ وأَهْلَه، أَنْ أَرَى فِيه ثَلْماً أَوْ هَدْماً)) [٤١]. كما لم يصدر منه ما يؤثر على شوكة ملكهم أو يضعف من سلطانهم أو يقلل من هيبتهم. كل ذلك رعاية لمصلحة الإسلام العامة، ورعاية أنْ لا يرى في الإسلام ثلماً أو هدماً.

وفي خطبته عليه السلام التي ذكرت، فقد نهى عن التلوّن في دين اللّه تعالى، وكلمة التلون في الدين تومئ إلى النفاق بإخفاء الكفر، وإظهار الإيمان، ولكن المراد بها هنا الفرقة وشتات الكلمة؛ لأنّ الخلاف والصراع لا يستدعي إخفاء البغض والكراهية، وإظهار الود والمحبة، وهو لون من النفاق.

(فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ). يشير عليه السلام بهذا إلى ما يسمى اليوم بالوحدة الوطنية أو القومية، أو بالجبهة الداخلية، والمعنى إنَّ وحدة الصفوف، ودفن الخلافات مهما تنوعت، وتعاون الجميع بلا اعتبار لدين أو لون لتحقيق الهدف المشترك هو سبيل التقدم، ومفتاح النصر على العدو الخارجي، وإذا كان للخلافات في وجهة النظر حول بعض القضايا، إذا كان لها ما يبررها في الظروف العادية فليس لها أي مبرر في ظروف مواجهة العدو، أو أية مصلحة من المصالح الكبرى؛ بلْ هي ضرر محض لا يستفيد منها إلا من يتربص بالوطن شراً، والوطن للجميع لا لفئة دون فئة. وقد رأينا الدول والشعوب تتعاون وتعقد الأحلاف لحل مشكلاتها المشتركة على ما بينها من تباعد وتباين في اللغة والدين

والتراث والنظام، فكيف بأبناء الوطن الواحد، والدين الواحد، واللغة الواحدة [٤٢].

- ومن خطبة له عليه السلام ويؤكد فيها أنَّ الاختلاف عقوبة إلهية ويحرص على جماعة الأمة، فبعد بعد ليلة الهرير، وقد قام إليه رجل من أصحابه، فقال نهيتنا عن الحكومة ثمَّ أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد، فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى، ثمَّ قال عليه السلام: ((هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ... إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَه، ويُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، ويُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِه ونَفَثَاتِه، واقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، واعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ)) [٤٣].

يقول ابن أبي الحديد في شرحه للخطبة: هذه شبهة من شبهات الخوارج، ومعناها أنك نهيت عن الحكومة أولاً، ثمَّ أمرت بها ثانياً، فإنْ كانت قبيحة كنت بنهيك عنها مصيباً، وبأمرك بها مخطئاً، وإنْ كانت حسنة، كنت بنهيك عنها مخطئاً، وبأمرك بها مصيباً، فلا بد من خطئك على كل حال. وجوابها أنَّ للإمام أنْ يعمل بموجب ما يغلب على ظنه من المصلحة، فهو عليه السلام لما نهاهم عنها كان نهيه عنها مصلحة حينئذ، ولما أمرهم بها كانت المصلحة في ظنه قد تغيرت، فأمرهم على حسب ما تبدل وتغير في ظنه، كالطبيب الذي ينهى المريض اليوم عن أمر ويأمره بمثله غداً.

وقوله عليه السلام: (هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ)، يعنى الرأي الوثيق، وفي هذا الكلام اعتراف بأنه بان له وظهر فيما بعد أنَّ الرأي الأصلح كان الإصرار والثبات على الحرب، وأنَّ ذلك وإنْ كان مكروهاً، فإنَّ الله تعالى كان يجعل الخيرة فيه[٤٤].

ثمَّ نبّههم عليه السلام على مكائد الشيطان وتدليساته وعلى أنَّ غرض هذا اللَّعين

- معاوية - أنْ يصدفهم عن منهج الرشاد والسداد إلى وادي التيه والفساد فقال: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَه): أي يفتحها ويسهلها، (ويُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ) الذي عقدتم وأحكمتموه في صدوركم، (عُقْدَةً) بعد (عُقْدَةً ويُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ): أي يبدّل اجتماعكم بالافتراق واتّفاقكم بالنفاق. وغرضه من ذلك أنْ يحيدهم عن جادّة الهداية إلى طريق الضلالة فيوقع بينهم الفتنة والعداوة، كما قال في بعض النسخ: (وبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا): أي اعرضوا (عَنْ نَزَغَاتِه)، وفساداته التي يفسد بها القلوب، (ونفثاته): أي وساوسه التي ينفث بها في الصدور، (واقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ): أراد به نفسه عليه السلام، (واعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ): أي اربطوها عليها وشدّوها بها كما يعقل البعير الشموس بالعقال، ويشدّ الفرس الجموع بالوثاق(٤٥).

إنَّ الكون متآلف بذراته، بمجراته، لا يحيد عن السنن الإلهية، ولا يخرج عن مقتضيات القوانين الربانية، وهو بعد ذلك مسخّر كله للإنسان. فما بال هذا الإنسان المسلم يتخلى عن قيادته لهذا الكون؟

ولماذا يكون نغماً نشازاً عن هذا التآلف الكوني؟

ولماذا يرضى بذيلٍ في القافلة يلتقط فتاتها، وقد أوجده الخالق ليكون قائد زمامها؟

الكون كله منسجم، ألا ينسجم المسلمون ومعهم كتاب واحد، ونبي واحد، وسنة واحدة؟

إننا نشاهد بأم أعيننا بعضاً من إخوة لنا لا همَّ لهم إلا تفريق المسلمين، وبث بذور الاختلاف بينهم ـ كما كان معاوية وأصحابه ـ، ونراهم لاهثين في البحث عن كل ما من شأنه تشتيت ما بقي من أشلاء هذه الأمة إلى تمزيقها، وكذلك هناك إخوة يسعون في الأرض يظنون أنَّ الأصل أنْ تكون كلمة

المسلمين شتى، وهم يعيشون في أوهام وتفسيرات خاطئة. نطلب من الله تعالى أنْ يهديهم إلى الصراط المستقيم.

♦ ومن خطبة له عليه السلام في الضجر من تثاقل أصحابه وبيان أنَّ الباطل قد يعلو بالاتحاد والحق يضيع بالاختلاف. قال عليه السلام: ((...أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ، وإِنِّي واللَّه لأَظُنُّ أَنَّ هؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ، بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وبِأَدَائِهِمُ الأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وخِيَانَتِكُمْ، وبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وفَسَادِكُمْ، فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ، لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ ومَلُّونِي وسَئِمْتُهُمْ وسَئِمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي، اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، أَمَا واللَّه لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ))[٤٦].

لا شكّ أنَّ الاتّفاق على الباطل يوجب الغلبة على الحقّ ظاهراً، وإنْ لم يكنْ كذلك واقعاً؛ لأنَّ للحقّ دولة وللباطل جولة. كان الإمام عليه السلام مع الحق، والحق معه.

ولعل التفرق عن الحق ومعصية الإمام واحد، أتى بهما عليه السلام تأكيداً. واستدلّ في خطبته عليه السلام بعدة أمور:

أولها: قوله باجتماعهم على باطلهم. وهو مشعر بأنَّ الاجتماع والاتفاق على أي أمر من الأمور يوجب البلوغ إلى المرام والوصول إلى المقصد وإنْ كان الاجتماع باطلاً في نفسه والمقصد أيضاً باطلاً وذلك؛ لأنَّ في نفس الاجتماع ووحدة الكلمة أثر خاصّ وهو ممّا لا كلام فيه.

ثانيها: قوله عليه السلام: (وتفرّقكم عن حقّكم). وهذا هو الثاني من الأدلة الموجبة للمغلوبيّة والمقهوريّة فإذا كان الاجتماع موجباً للغلبة كما ذكره عليه السلام

أولاً فلا محالة تكون التّفرقة وهي ضدّ الاجتماع موجبة وباعثة للمغلوبية لاستحالة اجتماع الضدّين.

وبعبارة أخرى: إما أنْ تكون التّفرقة هي عدم الاجتماع والوحدة فتكون نقيضة له، وإما أنْ تكون أمراً وجوديّاً فتكون ضدّه فعلى الأول: لا يمكن لاجتماعهما ولا ارتفاعهما لاستحالة اجتماع النّقيضين وارتفاعهما.

وأما على الثاني: أي القول بكونهما ضدّين مع انّه خلاف - التّحقيق فإنَّ التّشتت والافتراق ليس إلا عدم الاتّفاق وليس من الأمور الوجوديّة بشيء فالأمر يدور مدارهما على الفرض فوجود أحدهما - يستلزم انتفاء الآخر وبالعكس(٤٧).

إنَّ الشعلة التي أوقدها رسول الله صلى الله عليه وآله في ضمير هذه الأمة الموحدة ظلّت متوهجة، والبذرة التي غرسها في أمير المؤمنين عليه السلام آتت أكلها على الرغم من كلّ ما عصف بالمجتمع الإسلامي من أهواء وانحرافات جاهلة أو مغرضة. فكان أصحاب معاوية على باطل؛ وذلك لأنهم كانوا مطيعين له مع انّه كان على الباطل.

وخلال العصور الإسلامية اللاحقة حدثت انقسامات سياسية نتيجة غياب القيادة الإسلامية الواعية المخلصة، ونشب بين القيادات السياسية صراعات حاولت تلك القيادات أنْ تستخدم الدين لتحقيق أهدافها، وأدّى ذلك في كثير من الأحيان إلى نزاعات دمويّة باسم الدين، والدين منها بُراء.

وبعد ذلك حدث انعطاف كبير في مسيرة الأمة الإسلامية، بعد أنْ انتكست ومُزقت شرّ ممزّق. وكان هذا التمزق شديداً بحيث ما عادَ المسلمون في أرجاء الأرض يشعرون أنهم أمة واحدة .

أما الآن فالتقسيمات الجغرافية السياسية، والتقسيمات القوميّة، والانقسامات

الإقليمية داخل القومية الواحدة، والتشرذمات الحزبية، والطائفية، والمصلحية تعمّقت وتجذرت حتى أصبحت الأمة شعوباً وقبائل متناحرةً متصارعة لا يعرف بعضها عن بعض شيئاً، وهذه من علامات موت الأمة، وهي من أكبر المآسي التي نزلت بالأمة. ويتحمل اليوم كلّ المسلمين مسؤولية العمل على وحدة الأمة الإسلامية كما كانت في عهدي النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام حتى نعود كما أراد الله تعالى لنا: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٤٨).

♦ ومن خطبة له عليه السلام يحث أصحابه على الإخاء والألفة والاتحاد واجتناب التفرقة. قال عليه السلام: ((وإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّه، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وسُوءُ الضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ ولَا تَنَاصَحُونَ، ولَا تَبَاذَلُونَ ولَا تَوَادُّونَ، مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَه، ولَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَه، ويُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ، كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ وكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ، ومَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاه بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِه، إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَه بِمِثْلِه))(٤٩).

(وإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّه)، وفطرته التي فطر النّاس عليها بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٥٠).

(مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وسُوءُ الضَّمَائِرِ): أي لم يفرّق بينكم إلّا خبث البواطن وسوء العقائد والنّيات ومن ذلك ارتفعت عليكم آثار التآخي والمودّة ولوازم المحبّة والأخوّة.

(فَلَا تَوَازَرُونَ ولَا تَنَاصَحُونَ، ولَا تَبَاذَلُونَ ولَا تَوَادُّونَ): أي لا يعين أحدكم صاحبه ولا يقويه ولا يناصحه ولا يبذل ماله له ولا يقوم بلوازم

المودّة، روى في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم ابن عمر اليماني، عن أبي عبد الله عليه السلام: ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَشْبَعَ ويَجُوعُ أَخُوه ولَا يَرْوَى ويَعْطَشُ أَخُوه ولَا يَكْتَسِيَ ويَعْرَى أَخُوه فَمَا أَعْظَمَ حَقَّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيه الْمُسْلِمِ، وقَالَ عليه السلام أَحبَّ لأَخِيكَ الْمُسْلِمِ مَا تُحبُّ لنَفْسكَ وإِذَا احْتَجْتَ فَسَلْه وإِنْ سَأَلَكَ فَأَعْطه لَا تَملَّه خَيْراً ولَا يَملَّه لَكَ كُنْ لَه ظَهْراً فَإِنَّه لَكَ ظَهْرٌ إِذَا غَابَ فَاحْفَظْه فِي غَيْبَته وإِذَا شَهِدَ فَزُرْه وأَجلَّه وأَكْرِمْه فَإِنَّه منْكَ وأَنْتَ منْه فَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ عَاتباً فَلَا تُفَارِقْه حَتَّى تَسْأَلَ سَمِيحَتَه وإِنْ أَصَابَه خَيْرٌ فَاحْمَدِ اللَّه وإِنِ ابْتُلِيَ فَاعْضُدْه وإِنْ تُمُحِّلَ لَه فَأَعنْه وإِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيه أُفٍّ انْقَطَعَ مَا بَيْنَهُمَا منَ الْوَلَايَة وإِذَا قَالَ أَنْتَ عَدُوِّي كَفَرَ أَحَدُهُمَا فَإِذَا اتَّهَمَه انْمَاثَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِه كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ)) (٥١).

وبإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((منْ حَقِّ الْمُؤْمنِ عَلَى أَخِيه الْمُؤْمنِ أَنْ يُشْبِعَ جَوْعَتَه ويُوَارِيَ عَوْرَتَه ويُفَرِّجَ عَنْه كُرْبَتَه ويَقْضِيَ دَيْنَه فَإِذَا مَاتَ خَلَفَه فِي أَهْلِه ووُلْدِه)) (٥٢).

يقول الخوئي: قد استفيد من هذين الخبرين وغيرهما لم نورده شرائط الأخوّة بين المسلمين، وعلم بذلك أنَّ من لم يقم بوظائفها فليس هو في الحقيقة بأخ لصاحبه(٥٣)، ولذلك قال الباقر والصّادق عليهما السلام فيما رواه عنهما في الكافي: ((لَمْ تَتَوَاخَوْا عَلَى هَذَا الأَمْرِ وإِنَّمَا تَعَارَفْتُمْ عَلَيْه)) (٥٤).

وقد علق محمد جواد مغنية على قول الإمام قائلاً: إنَّ أكثر الاختلافات أو الكثير منها بين علماء المسلمين في الأمور الدينية يرجع إلى النظر والاجتهاد، فكيف حصر الإمام عليه السلام الاختلاف بخبث السرائر وسوء الضمائر.

الجواب: إنَّ قول الإمام عليه السلام: (مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ) معناه ما جعلكم فرقاً وشيعاً متناحرة إلا خبث السرائر؛ لأنَّ الاختلاف في النظر ولمجرد الاجتهاد، لا يوجب التفرقة والعداء. والذي يؤيده إرادة الإمام لهذا المعنى قوله بلا فاصل: (فَلَا

تَوَازَرُونَ ولَا تَنَاصَحُونَ، ولَا تَبَاذَلُونَ ولَا تَوَادُّونَ).

وبهذه المناسبة نشير إلى أنَّ جريدة (الجمهورية) المصرية عدد ٣١ - ٤ - ١٩٧٢ نشرت لأحد القراء هذا السؤال: (هل يجب على المسلم أنْ يتقيد في أعماله بواحد من المذاهب الأربعة: المالكي، والحنفي، والشافعي، والحنبلي؟).

ومنذ سنوات سئل المرحوم الشيخ محمود شلتوت هذا السؤال، وكان آنذاك شيخاً للأزهر، فأجاب بأنَّ التقيد بخصوص هذه المذاهب دون غيرها، ما أنزل اللَّه به من سلطان، وإنَّ للمسلم أنْ يختار العمل بالمذهب الجعفري. وانتشرت فتواه هذه في جميع البلاد الإسلامية.

وبعد أنْ انتقل شلتوت إلى ربه قال شيخ أزهري، اسمه الشيخ صالح شرف: (على المسلم أنْ يقلد مذهباً من هذه المذاهب الأربعة). ونشر قوله هذا في العدد الذي أشرنا إليه من جريدة (الجمهورية).

وفي عدد ٧ - ٤ من هذه الجريدة ردّ عليه الشيخ محمد صالح سعدان، وقال: إنَّ الشيخ صالح شرف قد أوجب بفتواه ما لم يوجبه اللَّه ورسوله، ولم يرد به كتاب ولا سنة، واللَّه تعالى يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[٥٥]. ورسولنا الكريم صلى الله عليه وآله يقول: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)) [٥٦].

وقد كان الأولى بالشيخ في فتواه أنْ يرشد السائل إلى أنه لا يجب التقيد بمذهب من المذاهب الأربعة.

وفي عدد ١٤ - ٤ من (الجمهورية) نشر السيد محمد أحمد كشك - من مصر - كلمة أيدّ فيها الشيخ سعدان، وقال فيما قال: (إنَّ الذين يوجبون الالتزام بالمذاهب الأربعة يحرمون حق النظر والبحث في كتاب اللَّه وسنة

رسوله، والعمل بثمرتهما، ويترتب على ذلك فتور الهمم وتوقف الفقه).

وتدل هذه المعركة أنَّ عهد التقليد الأعمى قد ولى أو كاد، وإنَّ راية الحق لا بد أنْ تعلوا، ولو بعد حين. لقد اتفق المسلمون قولاً واحداً وقديماً وحديثاً على أنَّ الجاهل عليه أنْ يقلد العالم المخلص في الأمور الدينية والزمنية كالطب والهندسة وإلا انسد عليه باب العمل، وليس هذا من التقليد الأعمى في شيء؛ لأنَّ التقليد الباطل هو أنْ يقلد الجاهل جاهلاً، والعالم عالماً، أما تقليد الجاهل للعالم فعلى الأصول(٥٧).

♦ ومن خطبة له عليه السلام تسمى القاصعة (٥٨)، وهي تتضمن ذم الكبر وتقبيح الاختلاف والحرص على وحدة الأمة. قال عليه السلام: ((إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُلْفَةِ، الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً؛ لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ أَحْزَاباً، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ، تَقُولُونَ النَّارَ وَلَا الْعَارَ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ، انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ)) (٥٩).

قوله عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ). إلى قوله: (كُلِّ خَطَرٍ). ترغيب في لزوم حبل الألفة والتمسّك به.

والنعمة الَّتي امتنّ اللّه تعالى بها في عقد حبل الألفة الَّتي لا يعرف أحد لها قيمة هي الألفة نفسها باعتبار ما استلزمه من المنافع العظيمة ودفع المضارّ وعلَّل عدم معرفة الخلق لقيمتها بكونها أرجح من كلّ ثمن وأجلّ من كلّ خطر وهى صغرى قياس ضمير تقدير كبراه: وكلّ ما كان كذلك لم يعرف أحد

قيمته، وصدق الصغرى ظاهر؛ إذ كانت تلك الألفة والاجتماع على الدين سبباً عظيماً في استعدادهم لسعادتي الدنيا والآخرة.

وقوله: (واعْلَمُوا...) توبيخ لهم بانتقالهم عن الأحوال والأقوال الإسلاميّة إلى الأحوال الجاهليّة: أي قد صرتم بعد كونكم مهاجرين أعراباً، ولّما كانت الأعراب أنقص رتبة من المهاجرين وأهل المدن لجفاهم وقسوتهم وبعدهم عن الفضائل النفسانيّة وتعلّمها وعن سماع ألفاظ الرسول صلى الله عليه وآله ومجالسته واقتباس الآداب من أهل الحضارة كما قال تعالى: ﴿الأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفاقاً﴾ (٦٠) لا جرم وبّخهم لصيرورتهم كذلك. وليس كلّ الأعراب بالصفة المذكورة لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٦١). وكونهم بعد الموالاة أحزاباً فالأحزاب الفرق الّتي ينقسم لمحاربة الرسل وأوصيائهم ويجتمع لمخالفتهم وظاهر أنّ هؤلاء كذلك لانقسامهم وتشعّبهم إلى ناكثين ومارقين وقاسطين ومنافقين ومحاربتهم له حتّى ليس لهم إذن جامع في الإسلام يتعلّقون به إلّا اسم الإسلام ولا يعرفون من الإيمان إلّا رسمه وأثره وشعاره الظاهر بالشهادتين وحضور الصلاة دون الشرائط أُلحقّه وما ينبغي له.

وقولهم: النار ولا العار كلمة يقولها أهل الكبر والأنفة من احتمال الأذى والضيم لأنفسهم أو لقومهم في الاستنهاض إلى الفتنة.

والنار والعار منصوبان بفعلين مضمرين تقديرهما ادخلوا النار ولا تحتملوا العار. ثمّ شبّههم في حالهم وقولهم ذلك بمن يقصد أنْ يقلّب الإسلام على وجهه، وكنّى بذلك عن إفساده كناية بالمستعار ملاحظة لشبهه بالإناء يقلب فيخرج ما فيه عن الانتفاع به، ووجه التشبّه المذكور أنّ أفعالهم المذكورة كأفعال من يقصد ذلك من أعداء الإسلام لإرادة إفساده (٦٢).

وقال الخوئي في شرحه للحديث: لّما عليه السلام وبّخهم على ترك الطاعة وثلم

الإسلام بالافتراق والاختلاف رغّبهم في الاعتصام بحبل الائتلاف والاجتماع بالتّنبيه على أنّه أعظم نعمة أنعم اللّه سبحانه بها على عباده وهو قوله: (إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَد امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ): أي منّ عليهم (فيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأُلْفَةِ، الَّتِي يَنْتَقِلُونَ) وفي بعض النسخ يتقلّبون (في ظلّها ويأوون إلى كنفها): أي ينزلون ويسكنون إلى جانبها وناحيتها.

والمراد بحبل الألفة هو الإسلام الموجب للائتلاف والارتباط بينهم استعار له الحبل لذلك. (بِنِعْمَةٍ): أي امتنّ عليهم بنعمة عظيمة (لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً) والمراد بتلك النعمة نفس هذه الألفة أو الإسلام الموجب لها، فإنها نعمة عظيمة يترتّب عليها من المنافع الدّنيويّة والأخروية ما لا تحصى، ويندفع بها من المضار الدّنيوية والآخرويّة ما لا تستقصى(٦٣).

وفي هذه الفقرات تلميح إلى قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾(٦٤).

لا يخفى الاقتباس في تعبيره عليه السلام بالحبل وإنّه الطاعة؛ إذ تضمّن الإشارة إلى آية الاعتصام من الفرقة بحبل الله تعالى، وأنّه طاعتهم وولايتهم. فلا يأمل ولا يحلم المسلمون بتحقّق الألفة والوحدة والقدرة لهم على أعدائهم من دون التمسّك بحبل الله تعالى المتمثّل بولاية وطاعة أهل بيت النبيّ، وأنّ إنشاد الوحدة من دون ذلك ممتنع.

♦ ومن وصية له عليه السلام لأولاده وغيرهم يحثهم فيها على الوحدة وعدم التفرقة: ((عَلَيْكُمْ يَا بَنِيَّ بِالتَّوَاصُلِ والتَّبَاذُلِ والتَّبَارِّ، وإِيَّاكُمْ والتَّقَاطُعَ والتَّدَابُرَ والتَّفَرُّقَ)) (٦٥)، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٦٦].

♦ ومن وصية أخرى له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: ((عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ والتَّبَاذُل، وإِيَّاكُمْ والتَّدَابُرَ والتَّقَاطُعَ، لَا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ))[٦٧].

يوصي الإمام عليه السلام بالتواصل وحفظ الرابطة مع الإخوان المسلمين في شتّى البلاد الإسلاميّة وبذل العون بالمال والحال بعضهم مع بعض.

ويوصي أيضاً بترك التدابر والهجر والقطيعة فانّه يوجب المقت والعداوة وسوء الظنّ والتخاذل.

ويؤكد كذلك ملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لردع الأشرار عن أعمالهم السوء وقيام الأبرار بإجراء الأمور النافعة للعامّة والأمّة، فانّ التسامح فيهما يوجب تسلّط الأشرار والاستيلاء على موارد القدرة والثروة في الجامعة الإسلاميّة ويؤثّر الدعاء في دفعهم لتقصير المسلمين وجرّهم البلاء على أنفسهم[٦٨].

وقد جهد الإمام عليه السلام كأكثر ما يكون الجهد والعناء على العمل على توحيد صفوف الأمة ونشر الألفة والمحبة بين أبنائها، ويعد الألفة الإسلامية من نعم الله الكبرى على هذه الأمة. وناهض كل من يدعو إلى التفرقة وتصديع الشمل، وقاوم العصبية التي هي من أسباب التفرقة والبغضاء بين الناس، ودعا إلى التعصب لمكارم الأخلاق.

وقد عنى الإمام عليه السلام بوحدة الأمة، وتبنى جميع الأسباب التي تؤدي إلى تماسكها واجتماع كلمتها، وقد حافظ على هذه الوحدة في جميع أدوار حياته فقد ترك حقه وسالم الخلفاء صيانة للأمة من الفرقة والاختلاف.

♦ وعن أمير المؤمنين عليه السلام في الاتّحاد وعدم التفرق قال: ((والْعَرَبُ الْيَوْمَ وإِنْ كَانُوا قَلِيلاً، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ))[٦٩].

قال الشارح ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ): أراد عليه السلام بالكثرة القوّة والغلبة مجازاً إطلاقاً للاسم مظنّة الشيء على الشيء[٧٠].

(عَزِيزُونَ): أي غالبون.

(بِالاجْتِمَاعِ): أي باجتماع الرّأي واتّفاق القلوب، وهو خير من كثرة الأشخاص مع النفاق[٧١].

نهى الإمام عليه السلام عن التفرق في دين الله، وهو الاختلاف والفرقة، وأمر باجتماع الكلمة؛ لأنَّ الله تعالى لم يعط أحداً خيراً بالفرقة، لا ممن مضى، ولا ممن بقي. وقال ابن عباس: (أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم: إنما هلك من كان قبلكم بالمراء والخصومات في دين الله)[٧٢].

وما من شك في أنَّ نتيجة الاختلاف والفرقة لن تكون سوى الذلة والانكسار، فذلك هو سر سقوط الأمم وذلتها، إنه الاختلاف والتشتت، والنفاق والتدابر.

إنَّ المجتمع الذي تحطمت وحدته بسبب الفرقة، وتفتت تماسكه بسبب الاختلاف، سيتعرض لغزو الطامعين، وستكون حياته عرضة لأطماع المستعمرين؛ بلْ ومسرحاً لتجاوزاتهم، وما أشد هذا العذاب، وما أقسى هذه العاقبة؟

أجل تلك عاقبة النفاق والاختلاف في الدنيا.

وأما عذاب الآخرة فهو كما وصفه الله تعالى في القرآن الكريم أشد وأخزى. فذلك هو ما ينتظر المفرقين المختلفين، وذلك هو ما يجب أنْ يتوقعه

كل من حبذ النفاق على الاتفاق، والتدابر على التآلف، والتشتت على الاجتماع.

♦ ومن حكمه عليه السلام في صفة الغوغاء، فيصف اجتماعهم يكون مضرة وتفرقهم يكون منفعة للمسلمين، قال عليه السلام: ((هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا وإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا، وقِيلَ بَلْ قَالَ عليه السلام: هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا وإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا، فَقِيلَ قَدْ عَرَفْنَا مَضَرَّةَ اجْتِمَاعِهِمْ فَمَا مَنْفَعَةُ افْتِرَاقِهِمْ، فَقَالَ عليه السلام: يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلَى مِهَنِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ، والنَّسَّاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ والْخَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِهِ)) (٧٣).

(الغَوْغاء): هم الناس المنحطون، أو الخليط من هنا وهناك (اجْتَمَعُوا غَلَبُوا)؛ لأنَّ الاجتماع قوة بنفسه، وإذا سيطر عليه الحماس وعاطفة الجهل ازدادت قوته أضعافاً.

(وإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا): لخمول ذكرهم، وخفوت صوتهم. والجملة الثانية فسرها الإمام بأوضح بيان.

وقال محمد جواد مغنية في شرحه لقول الإمام عليه السلام: تحدث الإمام عن الفئة الأكثر عدداً، وأطلق عليهم كلمة العامة تارة، والطبقة السفلى أخرى، وأوصى بهم الولاة والموظفين(٧٤).

وقال عليه السلام من جملة ما قال: ((إِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ... وإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، والْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ... اللَّه اللَّه فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ)) (٧٥). فالجماهير في نظر الإمام عليه السلام هم العنصر البشري الذي يتكون منهم الوطن ويوجد، وبهم يتمثل الدين ويبرز إلى عالم الخارج مجسّماً ملموساً له أثره وأعماله، وأيضاً

هم العدد والقوة ضد أعداء الدين والوطن، ومن هنا وجبت رعايتهم والعناية بهم، وتقديم مصلحتهم على مصالح كل الفئات حتى رجال العلم والدين. وهذا غاية المديح.

هذا ما قاله الإمام عليه السلام عن الجماهير حين نظر إليهم من خلال مصلحة الدين والوطن، أما وصفه لهم هنا بالضرر فهو باعتبار اجتماع طائفة منهم لسبب أو لآخر، واندفاعهم مع العاطفة بلا تدخل عقل وروية. وليس من شك إنهم في هذه الحال اللاشعورية يضرون ولا ينفعون، ويتعصبون ولا ينصفون، بخاصة إذا كان بينهم أفراد من اللصوص السفلة والمجرمين القتلة(٧٦).

وقال أيضاً محمد جواد مغنية في شرحه للحديث: أكثر حكم الإمام عليه السلام في النهج وغيره تدخل في علوم ثلاثة: الاجتماع، والنفس والأخلاق، وتشترك هذه الثلاثة في أنها علوم إنسانية، ويفترق كل واحد منها عن الآخر بجهة خاصة، فعلم النفس يبحث عن غرائزها وصفاتها، وسلامتها ومرضها، وعن أسبابها: هل هي ذاتية، أو أتت إليه بالوراثة، أو من التربية والبيئة، ويبحث عن تاريخ الصفات: هل ولدت بولادة الإنسان، أو بعد الولادة بسنة أو أكثر، وأيضاً يبحث آثارها ونتائجها في سلوكه وأفعاله. وبكلمة يبحث علم النفس عن عناصرها وحياتها فاعلة ومنفعلة، وعن أسباب تلك العناصر وتاريخها وآثارها.

ويبحث علم الاجتماع في أحوال المجتمعات الإنسانية وأوضاعها وقوانينها، والأسباب التي نشأت عنها المعيشة الاجتماعية.

أما علم الأخلاق فلا يبحث عن النفوس والطبائع، والغرائز والشمائل كعلم النفس، ولا عن المجتمعات كعلم الاجتماع؛ بلْ يضع القانون الخلقي، ويحدد المثل الأعلى الذي ينبغي أنْ يحتذيه الإنسان في سلوكه وأفعاله تماماً كالفقه يحلل ويحرم. ومن هنا كان علم الأخلاق من العلوم المعيارية التي يقاس بها حسن الشيء وقبحه(٧٧).

إنَّ التاريخ يشهد أنَّ من أهم أسباب سقوط الدول على اختلاف عقائدها ومللها: التفرق والاختلاف، سقطت الخلافة العباسية بعد أنْ تفرقت الدول الإسلامية في ذلك الوقت، عدة دويلات، ولم يبق للخلافة العباسية إلا مدن متفرقة متناثرة من العالم الإسلامي، فلما زحف المغول إلى بغداد لم يقف في وجه زحفهم من الجيش العباسي بسبب تفرقهم.

وسقطت الدولة الإسلامية في الأندلس بعد أنْ أصبحت دويلات متفرقة متناحرة، لا همّ لأحدهم سوى التلقب بألقاب الملك والسلطان حتى ولو كان على بقعة لا تتجاوز الأمتار.

ولم تسقط الدولة العثمانية إلا بعد أنْ تمزق جسدها إلى أشلاءَ متناثرة، وبعد أغرى الغربيون بعض زعماء المسلمين بالانفصال عنها، وأحسنوا إتقان العمل بقاعدة: فرِّق تسُد.

وها هو العالم الإسلامي اليوم منقسم إلى دويلات متناحرة، تعيش على هامش التاريخ، وتتجرع ألوان الهوان.

إنَّ العالم الإسلامي بتفرقه وتنازعه لا يشكل أي هاجس خوف لأحد، لكن العالم الغربي يخشى أنْ يستيقظ المسلمون من نومهم، فيسارعوا إلى الأخذ بأسباب القوة، والعودة إلى الوحدة. وتجنباً لذلك فإنه يحاول بكل جهد أنْ يقضي على كل منفذ يمكن أنْ يسلكوه، فيعود بهم إلى سابق عزهم وسالف مجدهم.

هل يستيقظ المسلمون من نومهم، فيسارعوا إلى الأخذ بأسباب القوة، والعودة إلى الوحدة!!!.

♦ ومن كلام له عليه السلام في تفسير الفرقة والجماعة، قَالَ لَه عليه السلام بَعْضُ الْيَهُودِ: ((مَا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيه، فَقَالَ عليه السلام لَه: إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْه لَا

فِيه، ولَكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ، حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ، اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ، قالَ: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ))[٧٨].

لا يختلف اثنان من المسلمين في أنَّ اللَّه تعالى واحد، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ اللَّه يبعث من في القبور، ولكن النبي صلى الله عليه وآله كان يحدّث، فيسمعه من حضر، وينتهي حديثه إلى بعض من غاب دون بعض. فيقول هذا: ما بلغني ذلك، ويقول ذاك: بلغني، وإذن فالخلاف في النقل عن النبي صلى الله عليه وآله لا في نبوته.

أما اليهود فقد شاهدوا بأعينهم المعجزات الباهرة في انفلاق البحر بضربة من عصا موسى عليه السلام، وكيف انشق فيه اثنتي عشر طريقاً يبساً بعدد الأسباط، وكيف انطبق على فرعون وجنوده. وبرغم ذلك كله وقبل أنْ تجف أقدامهم كفروا باللَّه تعالى عن علم، وطلبوا بكل وقاحة وصلافة من نبي اللَّه بالذات أنْ يجعل لهم صنماً يعبدونه من دون اللَّه تعالى.

إذن فلا عجب إذا اعتدت إسرائيل واشتكت من الاعتداء، وانتهكت قرارات (الأمم المتحدة) بحجة المحافظة على شعور الرأي العام، وقتلت وهدمت وشردت بزعم الحرص على السلام[٧٩].

إنَّ نبينا واحد وهو يوحدنا. وهنا لابد من القول بأننا بحاجة إلى وحدة الأمة التي هي تشبه إلى حد كبير الصحة والعافية في الجسد؛ فإنَّ فلاناً يتمتع بالصحة والعافية فهذا يعني أنَّ عينه بصيرة، وآذنه سميعة، وأنَّ يده تعمل، ورجله تسعى، وقلبه ينبض باستمرار. وكل أعضاء جسده سليمة.

والواقعُ أنه لا يمكن أن تكون ثمة أمة موحدة دون وجود وحدة عضوية تربط بين أجزائها، وإلاّ فليست هي بأمّة؛ بلْ شبح أمة، ولذلك قرّر الإسلام مبدأ الأخوّة بين المؤمنين. وهذا المبدأ يعني أنَّ الإيمان والأخوّة متلازمان قوةً وضعفاً.

ومن هنا لا يُمكن أن نتصوّر انفصالاً بين الإيمان والوحدة. كلاهما مبدآن أساسيان يقوم عليهما. وما أجمل قول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ) رحمه الله، قال: (بُني الإسلام على كلمتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة)[٨٠].

ولا يعني ذلك أنَّ الأمة المسلمة الحيّة تخلو من اختلاف في وجهات النظر والعادات والتقاليد والأذواق. فهو اختلاف طبيعي بين أبناء البشر؛ بلْ بين أبناء الأسرة الواحدة أحياناً. غير أنَّ هذا الاختلاف لا يؤدّي إلى نزاع وشقاق بين أبناء الأمة الحيّة؛ بلْ إلى التعارف وتبادل التجارب والتعاون وإثراء المسيرة الحضاريّة، فالاختلاف غير الخلاف. وكلُّ شقاق بين أبناء الأمة الواحدة يعني أنَّ هذه الأمة ابتعدت عن مسيرتها الرسالية، وضعفت معالمُ الحياة فيها.

♦ ومن خطبة له عليه السلام في النهي عن الفتنة والفرقة، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أنْ يبايعا له بالخلافة، فقال عليه السلام: ((أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ، هَذَا مَاءٌ آجِنٌ ولُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، ومُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا، كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِه)) [٨١].

قوله عليه السلام: (شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ) شبّه عليه السلام الفتنة بالبحر المتلاطم فلذلك استعار له لفظ الأمواج وكنّى بها عن حركة الفتنة وقيامها، ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك البحر والفتنة جهماً في كونهما سبباً لهلاك الخائضين فيهما، واستعار بسفن النجاة لكلّ ما يكون وسيلة إلى الخلاص من الفتنة من مهادنة أو حيلة مخلّصة أو صبر، ووجه المشابهة كون كلّ منهما وسيلة إلى السلامة؛ إذ آحاد الطرق المذكورة طرق إلى السلامة من ثوران الفتنة والهلاك فيها كما أنَّ السفينة سبب للخلاص من أمواج البحر.

قوله عليه السلام: (وعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ) أمر لهم بالعدول عن طريق المنافرة إلى السكون والسلامة وما يوجب سكون الفتنة، وكذلك قوله: (وضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ) أمر بطريق آخر من طرق النجاة وهي ترك المفاخرة، فإنَّ المفاخرة ممّا يهيّج الأضغان وتثير الأحقاد وتوجب قيام الفتنة، ولّما كان أكبر ما ينتهي إليه أرباب الدنيا من المفاخرة هو لبس التيجان وكانت الأصول الشريفة... هي أسباب الافتخار الدنيويّ ومنشأه كانت المشابهة بينها وبين التيجان حاصلة فاستعار عليه السلام لفظها لها وأمرهم بوضعها.

قوله: (أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ). لّما نهى عليه السلام عن الفتنة وبيّن أنَّ المفاخرة والمنافرة ليسا طريقين محمودين أردف ذلك بالإشارة إلى أنّه كيف ينبغي أنْ يكون حال المتصدّي لهذا الأمر، وكيف يكون طريق فوزه بمقاصده أو النجاة له، فحكم بالفوز لمن نهض بجناح، واستعار لفظ الجناح للأعوان والأنصار، ووجه المشابهة ظاهر فإنَّ الجناح لّما كان محلّ القدرة على الطيران والتصرّف وكانت الأعوان والأنصار بهم القوة على النهوض إلى الحرب والطيران في ميدانها لا جرم حصلت المشابهة فاستعير لهم لفظ الجناح، وحكم بالنجاة للمستسلم عند عدم الجناح وكلاهما يشملهما اسم الفلاح وفي هذا الكلام تنبيه على قلّة ناصره في هذا الأمر(٨٢).

وقد صور الإمام عليه السلام في هذا الكلام الجو السياسي والاجتماعي للمجتمع الإسلامي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبين الصعوبة البالغة في صنع القرار المناسب من قبل القائد الواقعي في وسط يتعذر فيه الكلام والصمت. وفي مثل ذلك الوضع لو انتقد الإمام عليه السلام حكام عصره وأعرب عن قلقه للقرار المتخذ في السقيفة فهذا لا يعني أنه كان طالب رئاسة. ولو آثر الصمت على النهوض والإطاحة بالحكم القائم فهذا لا يعني أنه يخشى الموت والقتل، وأنه لم يعمل بواجبه خوفاً على نفسه.

إنَّ ماضي أمير المؤمنين عليه السلام يدحض هذه التهم. وسبب صمته هو أنَّ زمانه لم يساعد على الثورة.

وكل تحرك متطرف غير مدروس في ظروف لا يدعم الناس فيها الثورة يشتت المجتمع الإسلامي الفتي ويفضي إلى تسلط أعداء الإسلام.

وينبغي أنْ تتنامى الثورة بالدعم الشعبي العام وحلول الوقت المناسب، عندئذ سيتبين للجميع أكثر من أي وقت مضى أنَّ الإمام عليه السلام لم يفكر إلا بمصلحة الإسلام والمسلمين، وأنه لو رأى الثورة واجباً عليه فلا حاجة به إلى عرض أبي سفيان الماكر.

وقد كشف مستقبل التاريخ الإسلامي للجميع صحة هذه المزاعم بوضوح. عندما تقلد الإمام عليه السلام الأمر ببيعة الناس إياه ودعمهم له بعد خمس وعشرين سنة أمضاها صامتاً صابراً، قال عليه السلام - بعد واقعة النهروان - في خصائصه حين قام بالأمر: ((فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشلُوا، وتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، ونَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، ومَضَيْتُ بِنُورِ اللَّه حِينَ وَقَفُوا، وكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً وأَعْلَاهُمْ فَوْتاً، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا واسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُه الْقَوَاصِفُ)) (٨٣).

أجل، كان أمير المؤمنين عليه السلام في أيام خلافته مثالاً بارزاً للقائد العارف بزمانه. وكذلك كان الأئمة عليهم السلام جميعهم من بعده؛ إذ كان صمتهم وكلامهم وحربهم وسلمهم تبعاً لما تتطلبه عصورهم، وهكذا قاد الأئمة الآخرون عليهم السلام المجتمع الإسلامي حسبما تتطلبه عصورهم(٨٤).

- ومن كلام له عليه السلام في احتجاجه على الخوارج وخروجهم عن وحدة المسلمين، قال عليه السلام: ((فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله، وإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الآبَاءِ والأَبْنَاءِ، والإِخْوَانِ والْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ

وشـدَّة، إلَّـا إيمَانـاً ومُضـيّاً علَـى الْحـقِّ، وتَسْـليماً للأَمْـر، وصَـبْراً علَـى مَضَضِ الْجِرَاحِ، ولَكنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتلُ إِخْوَانَنَا في الإِسْلَام، علَى مَا دَخَلَ فيه منَ الزَّيْغ والاعْوِجَاج، والشُّبْهَة والتَّأْوِيل، فَإِذَا طَمعْنَا في خَصْلَة يَلُمُّ اللَّه بهَا شَعَثَنَا، ونَتَدَانَى بهَا إِلَى الْبَقيَّة فيمَا بَيْنَنَا، رَغبْنَا فيهَا وأَمْسَكْنَا عمَّا سوَاهَا))[٨٥].

قوله عليه السلام: (فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله... مَضَضِ الْجِرَاح) استدراج لهم بشرح حاله وحال الصحابة. حيث كانوا في الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وآله على الحالة الَّتي شرحها لعلَّهم يتأسّون بالماضين فيها.

وقوله عليه السلام: (ولَكنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتلُ إِخْوَانَنَا في الإِسْلَام...) تنبيه على اعتراض عساهم يقولونه وجواب عنه وهو أنْ يقولوا: إنّما فعل إخواننا السابقون ما فعلوا ليقينهم بما هم عليه من الدين الحقّ وتيقنهم ضلال الكفار والمحاربين لهم فأمّا نحن فإنّما نقاتل بعضنا بعضاً فكيف يجوز لنا قتل قوم مسلمين استسلموا إلينا ودعونا إلى المحاكمة إلى كتاب اللَّه فأجاب بما معناه إنّا إنّما نقاتل في مبدء الأمر ومنتهاه دعوة إلى الإسلام ورغبة في رسوخ قواعده ففي المبدأ قاتلنا لتحصل ماهيّته في الوجود. وفي الثاني: قاتلنا لحفظ ماهيّته وبقائها، وحيث دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل ما دخل فإذا طمعنا في خلَّة محمودة يجمع اللَّه بها تفرّقنا ونتقارب بها إلى ما بقي فيما بيننا من الإسلام والدين رغبنا فيها وقاتلنا طمعاً في تحصيلها، وكأنّه عنى بالخصلة رجوع محاربيه إلى طاعته واتّفاقهم عليه[٨٦].

إنَّ الخوارج قد اتعبوا أمير المؤمنين عليه السلام وخرجوا عن الدين بسبب اجتهادهم. فكل من شهر سيف الفرقة في وجه الإسلام والمسلمين، كل الذين لا يقبلون بأقل من تفسيرهم الوحيد للإسلام، وتصورهم لعقائده، ويرفضون أي تفسير آخر، ولو كان وفق الضوابط الشرعية، ولو كان وفق علم الأصول،

هؤلاء كارثة الكوارث التي حلت بالإسلام. فالدين ليس حكراً على أحد.

إنَّ الحاجة إلى الدين هي نفس الحاجة إلى الهواء، والهواء لا يمكن أنْ يحتكره أحد لا إنسان، ولا فئة، ولا جماعة، ولا طائفة، ولا مذهب، ولا فرقة، فالدين هو الهواء لكل المسلمين، لا يمكن أنْ يُحتكر، فهذا الذي يحتكر الإسلام وحده، ويؤكد للناس أنَّ فهمه لهذا الدين وحده هو الصواب من دون ضوابط، من دون أدلة، ويرفض الطرف الآخر؛ بلْ يلغي وجود الطرف الآخر؛ بلْ يعتدي على الطرف الآخر، هذا أكبر أعداء المسلمين، بلْ إنَّ الطرف الآخر البعيد يستعين بهذا ليفرق المسلمين. فكان الخوارج سابقاً من فرقَّ وحدة المسلمين. وحالياً أيضاً توجد أحزاب وفِرق تريد تفريق المسلمين لغرض مصالحها.

- ومن حكم أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه في حق المؤمن على المؤمن والمؤاخاة بين المؤمنين والمسلمين، قال عليه السلام: ((إذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ)) (٨٧).

الحشمة: هي التحفّظ على الأنانية والتشخّص تجاه الغير طلباً للامتياز وإظهاراً للكبر والانحياز، فمنها حشمة الملوك والأمراء يضربون على نفوسهم الأستار ويقيمون على أبوابهم البوّابين والحفاظ، فلا يقدر المراجعون من مواجهتهم ومكالمتهم إلَّا نادراً وعلى شرائط ثقيلة خاصة، ويتنزل تلك الآداب إلى المراتب النازلة بحسب حال كلّ مرتبة، فالحشمة بأنواعها حجاب وفراق بين المحتشم وسائر الناس ومن مزايا الدّين الإسلامي البليغة التساوي بين المسلمين والتآخي بينهم بأدقّ معانيه وأصرحها(٨٨).

ولولا أنَّ الاتحاد ذو منافع عديدة، وفوائد كثيرة، لم يوجبه الله عزَّ وجَّل، ولهذا فإنَّ وجوب الوحدة بين المسلمين يستدل عليها بالعقل الصحيح مع النقل الصريح الصحيح. وإنَّ العقلاء من كل ملة ونحلة في القديم والحديث

اتفقوا على أنَّ الوحدة سبيل العزة والنصرة.

ونختم الكلام في شرح حكم مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام بخبر المؤاخاة بين المؤمنين والمسلمين وحدودها الَّذي رواه في الكافي الشيخ الكليني (ت٣٢٩هـ) في باب حقّ المؤمن على أخيه، ((عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ بُكَيْرٍ الْهَجَرِيِّ عَنْ مُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَه مَا حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ، قَالَ لَه: سَبْعُ حُقُوقٍ وَاجِبَاتٍ مَا مِنْهُنَّ حَقٌّ إِلَّا وهُوَ عَلَيْه وَاجِبٌ إِنْ ضَيَّعَ مِنْهَا شَيْئاً خَرَجَ مِنْ وِلَايَةِ اللَّه وطَاعَتِه ولَمْ يَكُنْ لِلَّه فِيه مِنْ نَصِيبٍ، قُلْتُ لَه جُعِلْتُ فِدَاكَ ومَا هِيَ، قَالَ: يَا مُعَلَّى إِنِّي عَلَيْكَ شَفِيقٌ أَخَافُ أَنْ تُضَيِّعَ ولَا تَحْفَظَ وتَعْلَمَ ولَا تَعْمَلَ، قَالَ: قُلْتُ لَه لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه، قَالَ: أَيْسَرُ حَقٍّ مِنْهَا أَنْ تُحِبَّ لَه مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وتَكْرَه لَه مَا تَكْرَه لِنَفْسِكَ.

والْحَقُّ الثَّانِي: أَنْ تَجْتَنِبَ سَخَطَه وتَتَّبِعَ مَرْضَاتَه وتُطِيعَ أَمْرَه.

والْحَقُّ الثَّالِثُ: أَنْ تُعِينَه بِنَفْسِكَ ومَالِكَ ولِسَانِكَ ويَدِكَ ورِجْلِكَ.

والْحَقُّ الرَّابِعُ: أَنْ تَكُونَ عَيْنَه ودَلِيلَه ومِرْآتَه.

والْحَقُّ الْخَامِسُ: أَنْ لَا تَشْبَعَ ويَجُوعُ ولَا تَرْوَى ويَظْمَأُ ولَا تَلْبَسَ ويَعْرَى.

والْحَقُّ السَّادِسُ: أَنْ يَكُونَ لَكَ خَادِمٌ ولَيْسَ لأَخِيكَ خَادِمٌ فَوَاجِبٌ أَنْ تَبْعَثَ خَادِمَكَ فَيَغْسِلَ ثِيَابَه ويَصْنَعَ طَعَامَه ويُمَهِّدَ فِرَاشَه.

والْحَقُّ السَّابِعُ: أَنْ تُبِرَّ قَسَمَه وتُجِيبَ دَعْوَتَه وتَعُودَ مَرِيضَه وتَشْهَدَ جَنَازَتَه وإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ لَه حَاجَةً تُبَادِرُه إِلَى قَضَائِهَا ولَا تُلْجِئُه أَنْ يَسْأَلَكَهَا ولَكِنْ تُبَادِرُه مُبَادَرَةً فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ وَصَلْتَ ولَايَتَكَ بِوَلَايَتِه ووَلَايَتَه بِوَلَايَتِكَ))[٨٩].

الخاتمة:

خلص البحث إلى ما يأتي:

١- اهتمّ أمير المؤمنين عليه السلام بترسيخ روح الوحدة في المشاعر والقلوب قدَرَ اهتمامه بغرس كلمة التوحيد في الأفكار والعقول والمعتقدات.

أما الصعاب والعقبات التي واجهها على طريق إقامة الأمة الواحدة لم تكن قليلة. فالمجتمع الإسلامي في عصره قد ورث مخلفات من عصبيات قومية وعرقية وقبلية، كما ورث ذكريات الحروب الأليمة.

٢- سجّل أمير المؤمنين عليه السلام أروع نماذج الارتفاع إلى مستوى الهمّ الإسلامي الكبير والى مستوى الأهداف الرسالية الكبرى. رغم أنه كان يؤمن بحقّه في كثير من الأمور بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، لكنه انشغل بمسؤوليته الكبرى في صيانة المسيرة الإسلامية في سبيل وحدة المسلمين.

٣- علّمنا أمير المؤمنين عليه السلام أنْ نحبّ حتى عدوّنا وأنْ نخاطبه بالتي هي أحسن لنحوّله إلى وليّ حميم !!. وقد حافظ من بعده أهل البيت عليهم السلام على وحدة الدولة الإسلامية من التصدع والانهيار والحد من محاولات التخريب فيها من أعداء الإسلام حتى في المراحل الصعبة التي مروا بها من قتل، واعتداء، واعتقالات، وغصب حقوقهم.

٤- رسم أمير المؤمنين عليه السلام للمسلمين برنامج عمل موحد، وغايته المحافظة على كيان الدولة الإسلامية والبقاء عليها قوية أمام التحديات الكبيرة المحيطة بها من الشرق والغرب.

٥- أوصى أمير المؤمنين عليه السلام ولاته الالتزام بمبادئ ومثل وقيم الإسلام والعمل على تطبيقها، وعدم السماح بالخروج عنها ليكونوا قدوة أمام الجميع لتخفيف وطأة النزعة الذاتية عند الآخرين، وإزالتها من خلال تطبيق الممارسات الإسلامية الحقة.

٦- حقق أمير المؤمنين عليه السلام العدالة السماوية بعد الرسول صلى الله عليه وآله من خلال

ما قام به من ممارسات ميدانية فيها الدروس والعبر. وتدل على حكمته وعدالته في التعامل بين المسلمين وغير المسلمين ورعايته مصالحهم مهما كانت بعيدة عن مركز الحكم في الكوفة.

٧- إنَّ الإسلام يؤكد على وحدة المسلمين لتطبيق مبادئه، وشرائعه، وأحكامه، والتخلص من أفق العصبية والطائفية، وقلع جذور الضلال والاختلاف. فخلال العصور الإسلامية التي تلت عصر الرسالة الأول شهدت اختلافات بين المسلمين أدّت إلى ظهور فرق ومذاهب داخل إطار العقيدة الإسلامية. غير أنَّ هذه الاختلافات المذهبية ما كانت تحول دون شعور المسلمين بأنهم أمة واحدة. فوقفوا بوجه كلّ تهديد خارجي موقفاً واحداً، ولا أدلّ على ذلك من موقفهم تجاه الحروب الصليبية. وكانوا على الصعيد الداخلي متعاونين متواصلين متوحدين خاصة في الحقل العلمي. ونحن اليوم بأمس الحاجة إلى هذه الوحدة. وعلى المسلمين التعاون في ما يتفقوا عليه ويعذر بعضهم بعضاً في ما يختلفوا فيه، على أنَّ الاختلاف هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضادّ، فلا يضرّ بإسلام الفرد ولا بوحدة المسلمين. والوحدة في الخصال ومكارم الأخلاق، فالأعمال قبل الأقوال والأخلاق قبل الانطلاق.

هوامش البحث

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٤٢٧.
(٢) ينظر: لبيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ٥٩١.
(٣) الشهيد الثاني، الروضة البهية، ٢٢٤/٦.
(٤) ينظر: مختصر مفيد، ٢٦١/١٠.
(٥) الشيخ الكليني، الكافي، ٣٦١/٨؛ المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه، ٧١٥/٢.
(٦) منتظري، دراسات في ولاية الفقيه، ٧١٢/٢.
(٧) ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين، ٢٢٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨١/٥.
(٨) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.
(٩) سورة الحجرات، الآية ١٠.
(١٠) البخاري، صحيح البخاري، ٩٨/٣؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٤٤٠/٢.
(١١) الشيخ الطوسي، المبسوط، ٢٦٦/٧؛ العلامة الحلي، مختلف الشيعة، ٤٥٠/٤.
(١٢) مسلم، صحيح مسلم، ٣٤/٨؛ النووي، شرح صحيح مسلم، ١٦٩/١٦.
(١٣) ينظر: القبانجي، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، ٦٢٨-٦٣٦.
(١٤) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ١٠٨.
(١٥) ينظر: القرشي، النظام السياسي في الإسلام، ٢١٧- ٢٢٠.
(١٦) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٢١١.
(١٧) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٣٢/٣٤.
(١٨) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٢٤٩.
(١٩) الكليني، الكافي، ٢٩٩/١.
(٢٠) المتقي الهندي، كنز العمال، ٣٧٨/١.
(٢١) شرح نهج البلاغة، ١٦/٣.
(٢٢) محمد عبدة، شرح نهج البلاغة، ١١٣/١.
(٢٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٥/٤؛ المحمودي، نهج السعادة، ٤٧٧/٢.
(٢٤) ينظر: الرضوي، مع رجال الفكر، ١٥١/٢.
(٢٥) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٣٥.
(٢٦) ابن حنبل، مسند أحمد، ٢٧٠/٤؛ مسلم، صحيح مسلم، ٢٠/٨.
(٢٧) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ١٨٥.
(٢٨) الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢٧١/٢.
(٢٩) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ٤٤.

(٣٠) النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ٣٢٨/٣.
(٣١) الريشهري، ميزان الحكمة، ٧٦٦/١.
(٣٢) الموفق الخوارزمي، المناقب، ٣٧٦.
(٣٣) التبريزي، معجم المحاسن والمساوئ، ٢٦٧.
(٣٤) المحاسن، ٢٢٠/١.
(٣٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٢٩٨.
(٣٦) سورة الإسراء، الآية ٧.
(٣٧) سورة الإسراء، الآية ٥.
(٣٨) ينظر: ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢٩٦/٤.
(٣٩) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٢٥٥.
(٤٠) يوم الرحبة: جمع فيه أمير المؤمنين عليه السلام الناس فيها أيام خلافته لذكرى يوم الغدير، السيد شرف الدين، المراجعات، ٣٨٨؛ الشاكري، علي في الكتاب والسنة والأدب، ٤٤٣/٥.
(٤١) الميرجهاني، مصباح البلاغة، ٢٧٤/١.
(٤٢) محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٥٤٤/٢.
(٤٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ١٧٨.
(٤٤) شرح نهج البلاغة، ٢٩٢/٧.
(٤٥) الخوئي، منهاج البراعة، ١٣٩/٨.
(٤٦) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٦٧.
(٤٧) الخراساني، مفتاح السعادة، ١٥٧/٥.
(٤٨) سورة آل عمران، الآية ١١٠.
(٤٩) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ١٦٨.
(٥٠) سورة الحجرات، الآية ١٠.
(٥١) الكليني، الكافي، ١٧٠/٢.
(٥٢) الطبرسي، مشكاة الأنوار، ٣٣٦؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ١٥٨/١٦.
(٥٣) الخوئي، منهاج البراعة، ٤٨/٨.
(٥٤) الكليني، الكافي، ١٦٨/٢.
(٥٥) سورة الشورى، الآية ٢١.
(٥٦) العلامة الحلي، نهج الحق، ٣٤٣.
(٥٧) محمد جواد مغنية، في ظل نهج البلاغة، ١٨٢/٢.

(٥٨) سُمّيت خطبته عليه السلام بالقاصعة من: القصْع شدّة المضغ وضمّ بعض الأسنان على البعض. البدري، نزهة النظر، ٨٤.
(٥٩) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٢٩٩.
(٦٠) سورة التوبة، الآية ٩٧.
(٦١) سورة التوبة، الآية ٩٩.
(٦٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣٠٢/٤.
(٦٣) الخوئي، منهاج البلاعة، ٨/١٢.
(٦٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٢-١٠٣.
(٦٥) الشيخ الكليني، الكافي، ٥٢/٧؛ الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ١٩١/٤.
(٦٦) سورة المائدة، الآية ٢.
(٦٧) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٤٢٢.
(٦٨) ينظر: الخوئي، منهاج البراعة، ١٣٢/٢٠.
(٦٩) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٢٠٣.
(٧٠) شرح نهج البلاغة، ١٩٦/٣.
(٧١) الخوئي، منهاج البراعة، ٥٣/٩.
(٧٢) الطبري، جامع البيان، ٥٤/٤؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ١٤٣٠/٥.
(٧٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٥٠٤.
(٧٤) ينظر: محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣٣٩/٤.
(٧٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٤٢٩-٤٣٨.
(٧٦) محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣٣٩/٤.
(٧٧) م ن، ٢١٢/٤.
(٧٨) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٥٣١.
(٧٩) محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤٠٦/٤.
(٨٠) أصل الشيعة، ٩٥.
(٨١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٥٢.
(٨٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢٧٧/١.
(٨٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٨١.
(٨٤) ينظر: الريشهري، القيادة في الإسلام، ٢٢٠.
(٨٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ١٧٩.
(٨٦) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ١٢٠/٣.

(٨٧) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٥٥٩.
(٨٨) الخوئي، منهاج البراعة، ٥٤٦/٢١.
(٨٩) الكافي، ١٦٩/٢.

قائمة المصادر والمراجع

- خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

المصادر:

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ):

١- صحيح البخاري، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ).

البرقي، الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ):

٢- كتاب المحاسن، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه السيد جلال الدين الحسيني (المشتهر بالمحدث)، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ).

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ):

٣- سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، (دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٠٣هـ).

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ):

٤- تفسير بن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق أسعد محمد الطيب، (المكتبة العصرية، صيدا، د.ت).

ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦هـ):

٥- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٨هـ).

ابن حنبل، الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ):

٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، (دار صادر، بيروت، د.ت).

الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد المكي (ت ٥٦٨هـ):

٧- المناقب، تحقيق فضيلة الشيخ مالك المحمودي، (طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ).

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي (ت ٤٠٦هـ):

٨- نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة وحققه صبحي الصالح، (الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٧هـ).

ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين الحلبي (ت القرن٤ هـ):

٩- تحف العقول عن آل الرسول (تحفة العقول)، تحقيق علي أكبر غفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ).

الشهيد الثاني، زين الدين بن علي بن أحمد الجبعي العاملي (ت ٩٦٥هـ):

١٠- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، تحقيق السيد محمد الكلانتر، (مطبعة أمير، قم، ١٣٨٦هـ).

الصدوق، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١هـ):

١١- كتاب من لا يحضره الفقيه، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، (الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د ت).

الطبرسي، أبو الفضل علي بن الحسن (ت القرن السابع):

١٢- مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، (المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ):

١٣- تفسير الطبري (جامع البيان)، قدم له خليل الميس، تخريج صدقي جميل العطار، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ).

الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت ٤٦٠هـ):

١٤- المبسوط، تحقيق محمد تقي الكشفي، (المطبعة الحيدرية، طهران، ١٣٨٧هـ).

العلامة الحلي، أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ):

١٥- مختلف الشيعة، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٣هـ).

١٦- نهج الحق وكشف الصدق، تقديم رضا الصدر، تعليق عين الله الحسني، (مطبعة ستارة، الناشر دار الهجرة، قم، ١٤٢١هـ).

الكليني، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٨هـ):

١٧- الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ).

المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي الهندي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ):

١٨- كنز العمال، تحقيق بكري حياتي وصفوة السقا، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ).

المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ):

١٩- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ).

ابن مزاحم المنقري، نصر بن مزاحم بن سيار التميمي الكوفي (ت ٢١٢هـ):

٢٠- وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (مطبعة المدني، مصر، ١٣٨٢هـ).

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ):

٢١- صحيح مسلـــم، (دار الفكر، بيروت، د.ت).

ابن ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ):

٢٢- شرح نهج البلاغة، عنى بتصحيحه عدّة من الأفاضل وقُوبِلَ بعِدَّة نُسَخ مَوثوقٌ بها، (الناشر مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ).

النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف الحزامي الحواربي الشافعي (ت ٦٧٦هـ):

٢٣- صحيح مسلم شرح النووي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ).

الواسطي، الشيخ كافي الدين أبي الحسن علي بن محمد الليثي (ت ق٦):

٢٤- عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين الحسيني البيرجندي، (دار الحديث، قم، ١٤١٨هـ).

المراجع:

آل كشاف الغطاء، الشيخ محمد الحسين آل كشاف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ):

٢٥- أصل الشيعة، تحقيق علاء آل جعفر، (الناشر مؤسسة الإمام علي عليه السلام، المطبعة ستار، قم، ١٤١٥هـ).

البدري، عادل عبد الرحمن:

٢٦- نزهة النظر في غريب النهج والأثر، (مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤٢١هـ).

البروجردي، حسين الطباطبائي (ت ١٣٩٩هـ):

٢٧- جامع أحاديث الشيعة، (المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ).

التبريزي، الشيخ أبو طالب التجليل التبريزي:

٢٨- معجم المحاسن والمساوئ، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ).

الخراساني، محمد تقي النّقوي القايني الخراساني:

٢٩- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، (الناشر المؤلف، مكتبة المصطفوي، طهران، د ت).

الخوئي، العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت١٣٢٤هـ):

٣٠- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق السيد إبراهيم الميانجي، (منشورات دار الهجرة، قم، ١٤٠٣هـ).

الرضوي، السيد مرتضى:

٣١- مع رجال الفكر في القاهرة، (الناشر الإرشاد للطباعة، بيروت، ١٤١٨هـ).

الشاكري، حسين:

٣٢- علي في الكتاب والسنة والأدب، تحقيق فرات الأسدي، (المطبعة ستارة، قم، د ت).

الريشهري، محمد:

٣٣- القيادة في الإسلام، تعريب علي الأسدي، (دار الحديث، قم، ١٤١٧هـ).

٣٤- ميزان الحكمة، (دار الحديث، بيروت، ١٤١٦هـ).

شرف الدين، السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (ت ١٣٧٧هـ):

٣٥- المراجعات، تحقيق وتعليق حسين الراضي، (طبع على نفقة الجمعية الإسلامية، بيروت، ١٤٠٢هـ).

الشيرازي، محمد الحسيني (ت ١٤٢٢هـ):

٣٦- توضيح نهج البلاغة، (دار تراث الشيعة، طهران، د ت).

العاملي، جعفر مرتضى:

٣٧- مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، (مطبعة المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ١٤٢٣هـ).

القبانجي، حسن السيد علي:

٣٨- شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، (مطبعة إسماعليان، قم، ١٤٠٦هـ).

القرشي، باقر شريف:

٣٩- النظام السياسي في الإسلام، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٨هـ).

لبيب بيضون:

٤٠- تصنيف نهج البلاغة، (مطابع مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، ١٤٠٨هـ).

محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ):

٤١- في ظلال نهج البلاغة، (الطبعة الأولى، مطبعة ستار، ١٤٢٧هـ).

محمد عبدة:

٤٢- شرح نهج البلاغة، (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د ت).

المحمودي، محمد باقر:

٤٣- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت).

المنتظري، الشيخ المحقق آية الله العظمى المنتظري:

٤٤- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٨هـ).

الميرجهاني، حسن المير جهاني الطباطبائي المحمد آبادي الجرقويي الأصبهاني (ت١٣٨٨هـ):

٤٥- مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة)، (د مط، طهران، ١٤٢٠هـ).

النجفي، هادي:

٤٦- موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٣هـ).